من تاريخ العمل الخيري في مصر

دراسة لحالة جمعية

" مكارم الأخلاق الإسلامية بالإسكندرية "

(١٣١٨ – ١٣٢٤هـ / ١٩٠٠ – ١٩٠٦م)

دكتور. أشرف محمد حسن

المدرس بقسم التاريخ الحديث

بكلية اللغة العربية بأسيوط

جامعة الأزهر

المستخلص:

تحرص المجتمعات الأكثر حضارة ومدنية على تدعيم العمل الخيري فيها؛ حتى يكون مكملاً لجهود حكوماتها في معالجة الأمراض التي تعانيها هذه المجتمعات، ويزداد هذا الحرص، متى كانت هناك نزعة دينية تشجع عليه، وعاطفة نبيلة تقويه. وقد اجتمعت هذه العوامل في المجتمع المصري بصفة عامة والسكندري - بوصفه جزءاً منه – بصفة خاصة. ففي مصر ظهرت الكثير من الجمعيات الأهلية التي كانت تقدم خدماتها للناس، وكان من بينها جمعية "مكارم الأخلاق الإسلامية بالإسكندرية". وقد نشأت هذه الجمعية بوصفها فرعاً لجمعية أخرى رئيسة بالقاهرة. وقد قدمت هذه الجمعية للمجتمع السكندري خدمات في مجالات عدة، كان من أبرزها: إنشاء ملجأ لإعالة الأيتام وصف بأنه هو الأول من نوعه على أرض مصر منذ فتحت. هذا بالإضافة إلى نشاطات خدمية أخرى، نرى تفصيلاً لها في هذا البحث.

الكلمات الدالة:

مصر – عمل خيري – تطوعي - اجتماعي – جمعيات – الإسكندرية – جمعية - مكارم الأخلاق - الإسلامية -

Abstract:

History of Charity Work in Egypt

A Case – Study of the Association of Makarim el-Akhlaq El-Islamia (Islamic Morals) in Alexandria

(1318 – 1324 AH / 1900 – 1906 AD)

Advanced societies are more interested in supporting charity work, to fulfill the efforts of the governments in healing the illnesses from which

these societies suffer. This interest increases when there is a religious conscience that encourages it. The Egyptian society, especially the Alexandrian, is one of these societies that exert great efforts in charity work. Many charity associations appeared in Egypt, and offered their services to people, one of these is the association of Makarim el-Akhlaq el-Islamia (Islamic Morals Association) in Alexandria. This association has begun as a branch of a mother association in Cairo. This association has provided the Alexandrine society various services, most important of which was the establishment of an orphanage, the first of its kind in Egypt. This in addition to other service activities this study will deal with in detail.

Key words:

Egypt – charity work – voluntary – societal – associations – Alexandria – Islamic Morals.

الاستشهاد المرجعي:

حسن، أشرف محمد (٢٠١٤).: من تاريخ العمل الخيري في مصردراسة لحالة جمعية " مكارم الأخلاق الإسلامية بالإسكندرية "(١٣١٨ – ١٣٣٤هـ / ١٩٠٠ – ١٩٠٦م).. حولية كلية الآداب . جامعة بني سويف . . مج ٣ (٢٠١٤) .. ص ص ٣٠٧ : ٣٧٤.

مدخـل:

تحرص المجتمعات المتمدينة على التوسع في إنشاء الجمعيات الخيرية لمعالجة أمراض الأمة من الفاقة والجهل اللذين هما من أكبر أسباب التخلف والانحطاط ومحوهما بنشر حالةٍ من العلم واليسار، اللذين هما أقوى أسباب التقدم والازدهار.

ومصر – بوصفها مهد المدنيات جميعاً – قد تقرر فيها منذ العصور الأولى في التاريخ مبادئ الإحسان العام، تلك المبادئ التي ازدادت رسوخاً وثباتاً عندما أظل الدين الإسلامي الحنيف البلاد بظله الظليل، وقد أبدى المصريون في هذا الشأن بما جبلوا عليه من حب الخير، الذي توحيه إليهم طبيعة البلاد سخاء كبيراً؛ إذ كانت الفكرة المسيطرة عليهم دائماً، إنما هي التقرب إلى الله ببذل الصدقات.

وقد شهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر تأسيس عددٍ كبيرٍ من الجمعيات الخيرية الدينية في مصر(١)، بدأت بأول جمعية أهلية إسلامية وهي الجمعية الخيرية الإسلامية التي ظهرت في العام ١٨٧٨م(١٢٩٥هـ)، ثم توالى إنشاء الجمعيات الخيرية الدينية (الإسلامية والمسيحية)، وانتشرت فروعها في جميع أنحاء مصر. وقد قدر عدد الجمعيات الأهلية الإسلامية بحوالي عشرين جمعية (٢) والمسيحية بحوالي إحدى عشرة جمعية(٣)؛ وذلك قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى.

ويمكن تفسير نشأة تلك الجمعيات بمجموعة من العوامل والمؤثرات الداخلية والخارجية التي أحاطت بالمجتمع المصري في تلك الفترة. ومن بين هذه العوامل والمؤثرات، نشاط البعثات التنصيرية بين الطبقات الدنيا من المجتمع بصفة خاصة. وهو النشاط الذي وُوجه بمعارضة شديدة من المصريين جميعاً، وتجسدت هذه المعارضة في تأسيس الجمعيات الدينية (الإسلامية والمسيحية) التي استخدمت أسلحة مماثلة لما استخدمته البعثات التنصيرية؛ مثل تقديم الإعانات للفقراء، وإنشاء المدارس المجانية لتعليمهم، كما لا ننسى أثر الاحتلال البريطاني الذي أدى من بين ما أدى إلى تسارع حركة إنشاء الجمعيات الخيرية على نحو خاص، وقد سعت

هذه الجمعيات إلى مقاومة الاحتلال واستبداد الحكم(٤).

ومن بين هذه العوامل – كذلك – أن الحالة الاقتصادية لأطياف واسعة من الشعب المصري كانت متردية للغاية. وقد ترتب على ذلك ظهور عددٍ كبيرٍ من الفقراء والمعوزين والمرضى والأطفال المشردين ممن لا مأوى لهم. وفي هذا ضررٌ بالأمن العام؛ بما يترتب عليه من زيادة في معدلات الجريمة بحيث يكون ذلك باعثاً على انحلال النظام الاجتماعي، كما أن النمو المطرد للمدارس الحديثة ونظم التعليم المدني على حساب التعليم التقليدي قد جعل الثقافة الدينية تتراجع عن مركز الصدارة لصالح مظاهر المدنيات الأوروبية الوافدة على المجتمع.

وبرغم النشاط الكبير للجمعيات الخيرية في أوساط المجتمع المصري، في أخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، إلا أن الدراسات العامة حولها تظل قليلة، أما الدراسات التفصيلية والمعَمّقة والمتخصصة، فتكاد تكون نادرة أو منعدمة؛ إذ لم نعثر – بخصوص هذه الدراسات والبحوث – إلا على دراسة واحدة تتعلق بتاريخ الجمعية الخيرية الإسلامية (٥)، وأخرى تتعلق بجمعية المساعي المشكورة (٦).

وقد لاحظنا أثناء إعدادنا لبحثنا المتعلق بمشيخة علماء الإسكندرية، أن هناك جمعية خيرية إسلامية نشطت في أوساط المجتمع السكندري وقدمت خدمات جليلة لأبنائه؛ بهدف نشر الثقافة الإسلامية، وتقوية الروح الدينية لدى السكندريين. وقد استخدمت الجمعية في تحقيق هذه الأهداف وسائل مختلفة تتمثل في الوعظ والإرشاد وإصدار مجلة كانت واسعة الانتشار، فضلاً عن افتتاح مدارس لتعليم الناشئة، تتبنى منهجاً تربوياً إسلامياً محضاً، وإنشاء ملجأ للأيتام وصف بأنه أول ملجأ للأيتام على أرض مصر – في زمانه – بجهود مصرية خالصة.

ومما لا شك فيه أن حرص الجمعية على تحقيق هذه الأهداف إنما يأتي انطلاقاً من رغبتها في التصدي للسلبيات والتحديات، التي كانت أصلاً عاملاً مهماً في ظهور مثل هذه الجمعيات الخيرية، ونعني بها مواجهة الأفكار الغربية الوافدة على المجتمعات الإسلامية والتي تزامنت مع النمو

المطرد والسريع لنظم التعليم المدني، في مقابلة انحدار التعليم الديني، وكذلك العمل على تعزيز الثقافة الدينية ونشرها بين أفراد المجتمع، ثم التقليل من آثار ظاهرتي الفقر والجهل، وهما ظاهرتان كانتا منتشرتين بكثرة في المجتمع المصري في ذلك الوقت.

وتقديراً منا لجهود هذه الجمعية في تحقيق الأهداف المذكورة، فقد تراءى لنا أن نفرد لها هذه الدراسة التفصيلية.

نشأة الجمعية:

نشأت جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية بالإسكندرية بوصفها فرعاً من فروع جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية بالقاهرة، وهي الجمعية التي أسسها الشيخ محمد زكي الدين سند (٧) في شهر المحرم من العام ١٣١٧هـ (مايو ١٨٩٩م)؛ وذلك بهدف " دعوة الأمة المصرية ثم الأمة الإسلامية إلى طريق الهدى، وللدلالة على الخير والتنفير من الشر، رجاء أن تحيا كل منها حياة صالحة هنيئة مآلها الفوز والسعادة، بعيدة عن كل ما يكدّر صفو الحياة الإنسانية في هذا العالم الأرضي "(٨).

وقد طلب الشيخ من أعضاء الجمعية أن يكونوا أخوة متحابين ومتعاونين بالقول، والعمل على إحياء السنة وإماتة البدعة ونشر تعاليم الدين الصحيحة بين المسلمين (٩).

وقد وضع الشيخ محمد زكي الدين للجمعية قانوناً جامعاً وشاملاً جاء في ستة أبواب، تضم ستاً وستين مادة، وتنتظم كل ما يتعلق بشئون الجمعية؛ من ناحية تسميتها ومقرها والغرض من إنشائها وشروط عضويتها واشتراكات أعضائها وإدارة أعمالها واختصاصات مجلس إدارتها.

وقد جاء في القانون المذكور أن الغرض من إنشاء الجمعية، هو "نشر مكارم الأخلاق وبث آداب الدين والحث على الفضيلة واتباع المنهج القويم وإرشاد الأمة إلى ما فيه خيرها وإنقاذها من مهاوي الشهوات وإظهار ما خفي على الناس من فضائل الدين ومحاسنه، وحمل النفوس على التخلق بالأخلاق العالية اقتداء بما كان عليه الصحابة والخلفاء

الراشدون، واقتفاء آثار الصالحين من رجال الدين "(١٠) وقد حرص مؤسس الجمعية على التأكيد بأن " لا دخل للجمعية في الأعمال السياسية" (١١).

كما اشترط القانون في أعضاء الجمعية أن يكون كل منهم " مسلماً حسن السيرة والأخلاق، مستقيم الأحوال ، سواء الرجال أو النساء "(١٢). على أن تتكون الجمعية العمومية من جميع أعضاء جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية بالقاهرة، وممثلي فروعها بالأقاليم إن وجدت، بحيث لا يزيد عدد ممثلي كل فرع عن ثلاثة (١٣). وأجاز القانون لمجلس إدارة الجمعية أن ينتخب رئيس شرف لها من بين من يمدون يد المساعدة والمعاونة للجمعية " من ذوي المقامات السامية من المصريين والمسلمين " (١٤).

ومع أن القانون المذكور جعل المقر الرئيسى للجمعية ومركزها العام في القاهرة، إلا انه سمح بإنشاء فروع لها في أنحاء القطر المصري بقرارٍ من مجلس الإدارة. وإعمالاً لمقتضى هذه المادة سمح مجلس إدارة الجمعية بتأسيس فروعٍ لها في أربع من كبريات مدن القطر المصري، كان من أبرزها فرع جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية بالإسكندرية والذي تأسس في العام ١٣١٨هـ (١٩٠٠م)(١٥).

ولم يقدر لجمعية مكارم الأخلاق بالقاهرة أن تعمر طويلاً، فقد واجهت مصاعب جمة؛ مما أدى إلى اختفائها بعد فترة قصيرة من ظهورها(١٦)، في حين استمر فرعها في الإسكندرية في تقديم خدماته للمجتمع، حتى أن الجمعية الرئيسة تنازلت له عن حق إصدار المجلة الناطقة باسم الجمعية، والتي سميت باسمها " مجلة مكارم الأخلاق الإسلامية ". وأخذ فرع الإسكندرية على عاتقه إصدار المجلة بداية من العام ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م، وكانت المجلة قد اختفت هي الأخرى باختفاء جمعية القاهرة حتى غدا فرع الإسكندرية وكأنه جمعية مستقلة قائمة، بذاتها وليس فرعاً لجمعية أخرى، وأصبح يعرف باسم " جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية بالإسكندرية ".

كان يقوم على رعاية شئون الجمعية بالإسكندرية مجلس إدارة

ينتخب سنوياً من قبل أعضائها؛ ففي كل عام كانت الجمعية العمومية للأعضاء تعقد اجتماعها السنوي، بحضورٍ عددٍ كبيرٍ من وجهاء المجتمع السكندري؛ حيث تجرى عملية الانتخاب. وكان يترأس الاجتماع – في الغالب – محافظ الإسكندرية أو مفتي الثغر. وفي سنتها الرابعة كان مجلس إدارة الجمعية يتألف من رئيسٍ ووكيلين وأمين للصندوق ومعهم أحد عشر عضواً. وقد حرص مجلس الإدارة على تشكيلٍ عددٍ من اللجان لمساعدته في إدارة شئون الجمعية، فتشكلت لجنة للنظر في شئون المدارس التابعة للجمعية والمدارة من قبلها، وثانية للقيام بأعمال الوعظ والإرشاد، أطلق عليها " اللجنة العلمية "، وثالثة للإشراف على الملجأ التابع للجمعية وإدارة شئونه (١٧).

وفي العام السادس من عمر جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية بالإسكندرية خطت الجمعية خطوة جديدة على طريق تطورها، حين تغير اسمها إلى " جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية ". وبرغم أن بعض أعضاء الجمعية حاولوا الإيحاء إلى الناس بأن هذه الجمعية الناشئة هي جديدة مستقلة بذاتها ولا صلة لها بالقديمة، إلا أن هذا الزعم ليس له نصيب من الصحة والمصداقية؛ إذ لم تكن الجمعية الجديدة إلا امتداداً للكيان الذي كان قائماً من قبل، وكل ما في الأمر أن مجلس إدارة الملجأ العباسي وقد كان مستقلاً بنفسه، قد انضم إلى مجلس إدارة جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، وتكون منهما معاً مجلس إدارة جديد للجمعية، التي ظلت تحمل اسمها القديم " مكارم الأخلاق الإسلامية "، وقد قيل بأن الغرض من الكيان الجديد هو: " بناء الملاجئ الخيرية ونشر الوعظ والإرشاد فيما بين الأمة الإسلامية " (١٨). وأنت ترى أن هذه الأسس هي التي انبنت عليها جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، بل إن فكرة إنشاء ملاجئ للأيتام كانت من أهم منجزات جمعية مكارم الأخلاق، وهي التي وضعتها موضع التنفيذ.

وُضِعت جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية تحت رعاية الخديو "عباس حلمي الثاني" وبرئاسة شرف "محمود صدقي" باشا

(١٩) محافظ ثغر الإسكندرية. وقد سبق كل ذلك حملة دعائية ضخمة للترويج للجمعية بين أهالي الإسكندرية، وتحفيزهم على الاشتراك فيها؛ حتى إن الشيخ "حسين سليمان" ناظر مدرسة الصديق التابعة لجمعية مكارم الأخلاق خطب خطبة، قال فيها: " من يسمع أن عظيماً من عظماء الأمة هو صاحب الأيادي البيضاء، والأعمال الخيرية، سعادة "خليل حمدي باشا حماده" (٢٠) أمين الجمارك المصرية يدعو الأمة إلى مشروع كهذا، ولا يندفع معه في ذلك التيار لا يبتغي بذلك إلا وجه الله الكريم " (٢١). وقد كانت الاستجابة قوية وعفوية، حتى إن عدد أعضاء الجمعية الذين حضروا الجمعية العمومية التي خصصت لانتخاب رئيس الجمعية ووكيليه وأعضاء اللجان بلغ خمسمائة وثلاثة وأربعين من المشتركين في عضويتها.

أقيم الاجتماع بمقر جمعية " حمّالي الجمرك " – وكانت هي الأخرى واحدة من أكثر الجمعيات الأهلية نشاطاً وفعالية في وقتها – وحضر الاجتماع محافظ الإسكندرية بوصفه رئيس شرف الجمعية، ثم بدأت إجراءات انتخاب رئيس الجمعية من بين ستة من المرشحين. وقد أدلى بأصواتهم ٣٥٤ من الحاضرين من أعضاء الجمعية، وحسم خليل حمدي باشا المنافسة على رئاسة الجمعية بأغلبية كاسحة إذ حصل منفرداً على ٣٤٥ صوتاً في حين حصل محافظ الإسكندرية على ثلاثة أصوات، وحصل الشيخ "عبد الفتاح الشريف" – رئيس الجمعية السابق – و"منصور بك يوسف" على صوتين لكل منهما ، في حين اكتفى المرشحان الآخران بصوت واحد لكليهما.

أما منصب الوكيلين فقد حصدهما كل من "إسماعيل بك البرعي" (٢٣١ صوتاً) والشيخ "عبد الفتاح الشريف"(٢١٩ صوتاً)، ثم انتخب ستة لعضوية مجلس الإدارة هم: "حسبو بك" (٢٥٢ صوتاً)، "محمود أفندي لطفي" (٢٤٨ صوتاً)، "يوسف بك لطفي" (٢٤٥ صوتاً)، "أحمد بك عبد الخالق" (٢٣٧ صوتاً)، "عبد الفتاح الصحن" (٢٢٧ صوتاً)، "عبد الله بك الغرياني"(٢٢٤ صوتاً).

ثم انتخب ثمانية عشر عضواً للجان المنبثقة عن المجلس (٢٢). ولا يسع المرء إلا أن يبدي إعجابه بسلامة ونزاهة الطريقة التي انُتخب بها أعضاء مجلس الإدارة وأعضاء اللجان المختلفة أولاً، ثم بوعي أعضاء الجمعية ثانياً؛ فأنت ترى أنهم قدروا المجهودات التي يبذلها خليل حمدي باشا في إدارة شئون الجمعية فمنحوه ثقتهم المطلقة في مواجهة محافظ الإسكندرية، كما أن التقارب الواضح في الأصوات التي حصل عليها المرشحان للوكالة والمرشحون لعضوية المجلس ينم عن منافسة شديدة وعادلة، دعّمَها وعي كبير لدى أعضاء الجمعية.

وفي أول اجتماع لمجلس الإدارة الجديد قرر المجلس أن تؤلف من هؤلاء الفائزين جميعاً، مع ما أضيف إليهم من اعضاء مجلس إدارة الملجأ العباسي لجان ستة: لجنة المجلة، ولجنة التحصيل، ولجنة الملاجئ. وتتكون كل منها من ستة أفراد، ثم لجنة الاستغلال، ولجنة الوعظ، ولجنة الفروع، وتتكون كل لجنة منها من خمسة من الأفراد (٢٣).

ظلت الجمعية تحمل هنا المسمى الجديد حتى شهر مايو في العام ١٩٠٦م (ربيع الثاني ١٣٢٤هـ) حينها أعرب الخديو "عباس حلمي الثاني" عن رغبته في ضم جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية إلى جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية (٢٤) " توحيداً لمقاصد الأعمال الخيرية في مدينة الإسكندرية ". واجتمع مجلس إدارة الجمعية في ٢٥ من الشهر المذكور (مايو)؛ لبحث هذه الرغبة السامية التي لم يكن هناك سبيلٌ إلى رفضها ". واتخذ المجلس قراره بالموافقة على دمج الجمعية الأولى في الثانية، ثم عرض الأمر على الجمعية العمومية للعروة الوثقى وهذه قبلت الضم هي الأخرى بإجماع منقوصٍ بصوت واحد فقط. وجاء في قرار مجلس إدارة جمعية الملاجئ ما يبرر هذا الإجراء: " لما كان الغرض من تشكيل جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية خيرياً محضاً يقصد به مواساة الضعفاء وإعانة الفقراء وتربية اليتامى والإرشاد إلى ما فيه النفع العام، ولما كان أكثر الأعضاء العاملين في هذه الجمعية هم من أعضاء جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية التي لا

تختلف في وجهتها عن وجهة جمعية الملاجئ العباسية؛ فتوحيداً للأعمال الخيرية ومنعاً لما عساه يحدث من المنافرة بين جمعيتين خيريتين إسلاميتين، ولما في الاتحاد من القوة رأينا أن تضم جمعيتنا إلى تلك الجمعية لتعضد إحداهما الأخرى، وليكون اتحادهما في العمل وسيلة للنجاح " (٢٥).

جاء قرار الضم مشروطاً بأن تحافظ جمعية العروة الوثقى على استقلالية أعمال جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق؛ بحيث تكون أعمال الجمعية الثانية وإيراداتها ومصروفاتها قائمة بنفسها ومستقلة عن أعمال وإيرادات ومصروفات الجمعية الأولى، وأن تحافظ "العروة الوثقى" كذلك على كيان الملجأ، بل وأن تتوسع في إنشاء ملاجئ أخرى عند الإمكان، وأن تحافظ أخيراً على نشاط الجمعية القديمة من القيام بالوعظ وإصدار المجلة؛ " إذ الغرض من هذا الضم هو أن يكون العامل في الجمعيتين واحداً، وهذا من أنواع الاتحاد والاتفاق في الكلمة والرأي الذي لا يصلح المسلمون إلا بالاستمساك به " (٢٦).

ارتضت جمعية العروة الوثقى هذه الشروط، وتعهدت بالعمل بمقتضاها، بل وزادت بأن وافق مجلس إدارتها على عمل ميدالية تذكارية باسم "خليل حمدي" باشا رئيس الجمعية المنتهية أعمالها، وأن يكتب اسمه على كل مطبوعات الجمعية الخاصة بجمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية بعد الضم.

وفي نهاية المطاف، قامت جمعية العروة الوثقى بتسلم الملجأ العباسي والمطبعة والمجلة وإدارة الوعظ والإرشاد. وهي النشاطات التي كانت تديرها جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية، كما سلّمت أعمال اللجان إلى أعضائها ممن كانوا يجمعون بين عضوية الجمعيتين لإدارة هذه الأعمال باسم " العروة الوثقى "، وأبدى الخديو "عباس" رضاه عن الأمر، ورأى فيما حدث " دليلاً من أقوى الأدلة على ارتباط السكندريين وتعاضدهم واتفاقهم في الأعمال الخيرية " (٢٧).

وهكذا اختفت جميعة مكارم الأخلاق الإسلامية بالإسكندرية بعد حياة

قصيرة دامت ست سنوات. والحق أنها لم تنته تماماً بل يمكن القول أنها احتجبت أو توارت عن الأنظار؛ ذلك أن أهم منجزات الجمعية- وأعني بها الملجأ والمجلة والمطبعة وإدارة الوعظ- ظلت تعمل باستقلالية كاملة تحت ستار جمعية العروة الوثقى مستفيدة من الشروط التي وضعت لإتمام عملية الاندماج ، فضلاً عن أن عدداً كبيراً من أعضاء مجلس إدارة الجمعية القديمة، قد أصبحوا أعضاء في جمعية العروة الوثقى (٢٨)، وهذا يؤكد أن رسالة الجمعية ودورها لم يموتا بموتها، إنما استمرت هذه الرسالة كما تواصل هذا الدور في ثوب جديد؛ هو " جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية.

برغم قصر عمر جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية إلا أنها قدمت للمجتمع السكندري خدمات عدة في مجالات مختلفة، من خلال الوسائل التي اعتمدتها الجمعية في أعمالها؛ وهي: الوعظ والإرشاد ، التعليم ، المطبعة والمجلة، الملجأ، وسنحاول فيما يأتي أن نلقي الضوء على جهود الجمعية في خدمة المجتمع الذي نشأت في أوساطه، ولكن قبل ذلك نود أن نشير إلى نظرة الجمعية إلى طبيعة العمل الخيري، وإلى الطريقة التي اعتمدتها في إيصال هذا الخير للناس.

فلسفة الجمعية:

يمكننا أن نعرف فلسفة الجمعية، وفهمها لطبيعة العمل الخيري، ورؤيتها لأهدافها، ووسائلها في تحقيق هذه الأهداف من خلال الأفكار التي كانت تروج لها مجلة الجمعية على صفحاتها وبأقلام كتابها، وقد حرص هؤلاء على الربط بين رقي المجتمعات وتقدمها وازدهارها وبين حرص الأمة على التمسك بدينها، والتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل واجتناب العقائد الباطلة، نلمس ذلك في قول محرر المجلة : " أجمع سلاطين الحكمة على أن دين الأمة مدرسة أخلاقها ودستور عقولها ومصباح حياتها وقانون وجودها، وأنه لا تشرف عواطف الأمة وتزكى سرائرها وتتهذب أميالها وتتقيد آمالها إلا بعقال العقائد الصحيحة، فبقدر تمكن العقيدة من نفوس أفراد الأمة تكون سعادتهم حالاً واستقبالاً، وبقدر

ضعفها لديهم تكون أشد هواناً وأتعس آمالاً، وغير خاف أن هذه المبادئ التي سردناها هي بنفسها مبادئ جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، وتلك هي أعمالها التي قامت منذ تأسيسها بما يعهده فيها أهل القطر من الثبات والنشاط والحرص على عدم إضاعة ما يسنح لها من الفرص التي تمكنها من أداء كبريات الخِدَم للملة والأمة " (٢٩).

وفي إحدى خطبه يؤكد "إبراهيم أفندي نصحي" أمين صندوق الجمعية ورئيس لجنة المدارس بها، أن الجمعية ما قامت إلا لتنادي الناس بتقوى الله في أوقاتهم وأموالهم ومعاملاتهم وأولادهم، وأنها ما تركت وسيلة في خدمة هذا المقصد الشريف إلا اتخذتها. ويتساءل الرجل: لو نظرنا إلى حالة الشبان في بلادنا – وهم رجال المستقبل – هل نجد منهم من يألف الصلاة، ويقوم بالصيام الواجب، ويخرج الزكاة، أو يتجه في رحلته وسفره إلى الحجاز ؟ ثم يجيب في أسى وحيرة: لا هذا ولا ذاك ولكنهم في شهواتهم لاهون، وعن صلاتهم ساهون، وهو يلخص مقاصد الجمعية ووسائلها في تحقيق أهدافها بقوله: " جمعيتنا جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية ومدارسنا مدارس مكارم الأخلاق الإسلامية ، ومجلتنا مجلة مكارم الأخلاق الإسلامية. هذه ثلاث سبلٍ سلكناها حتى الآن لنشر مكارم الأخلاق الإسلامية " (٣٠). ومما لاشك فيه أن تعداد الرجل هذه السبل الثلاث، كان قبل أن تبتكر الجمعية سبيلاً رابعة، والمتمثلة في إنشاء الملاجئ.

نشاط الجمعية:

نص القانون الأساسي لجمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، في مواده التي تحدد اختصاصات مجلس إدارة الجمعية، على أن لهذا المجلس الحق في إصدار مجلات دينية أو أدبية، أو إقامة مدرسة، أو إنشاء مستشفى، أو نحو ذلك من أعمال البر، إذا وجد لذلك سبيلاً، وله كذلك أن يقيم محاضرات علنية في كل أسبوع أو كل شهر، حسبما يراه (٣١).

والواقع أن نشاط الجمعية لم يخرج عن هذه المجالات التي حددها قانونها الأساسي، والتي تمثلت في: الوعظ والإرشاد، التعليم، إصدار

المجلة، إنشاء ملجأ للأيتام.

أ- الوعظ والإرشاد:

حرصت الجمعية على إقامة ندوات أسبوعية في مقرها بانتظام، لبث الموعظة والذكرى بين المسلمين، تُفتَتح وتُختَتم تلك الندوات بتلاوة القرآن الكريم، ويقوم الخطباء والأدباء بإلقاء الدروس الدينية وخطب الوعظ على مسامع الحاضرين (٣٢).

ولكي يعم النفع من هذه الندوات، قررت الجمعية ألا تقتصر إقامتها على مقر الجمعية فقط؛ وإنما عملت على تعميمها لتشمل المعاهد الدينية والمدارس وأماكن الاجتماع العامة؛ ليكون أثرها أعم وأشمل (٣٣).

ثم خطت الجمعية خطوة أخرى لتأكيد جهودها في هذا المجال؛ فوظفت عدداً من ذوي الكفاءة من المدرسين والعلماء، ممن وقع عليهم اختيار الشيخ "محمد شاكر"(٣٤) شيخ مشيخة علماء الإسكندرية؛ ليقوموا بمهمة الوعظ بين الناس. ورتبت الجمعية لكل واحدٍ منهم جنيهين شهرياً وكلفتهم بالانتشار في المساجد والجوامع لتعليم الناس أمور دينهم، ومعالجة الأمراض التي استشرت في المجتمع، وذلك في دروس يخصصونها لهذه الغاية، ويعقدونها بعد صلاة العصر في كل يومٍ من أيام الأسبوع.

وقد لاقى هذا العمل قبولاً واستحساناً من كثيرين من المتابعين لنشاطات الجمعية، حتى لقد راسل أحدهم المجلة قائلاً: " إن من أمعن النظر في هذا المشروع حينما يأخذ حظه من النظام والانتشار في كل بقعة ومكان حسبما تقتضيه الحكمة أيقن أنه من الواجب على كل مسلمٍ تعضيده، بل على الحكومة نفسها ... حتى تصبح مدينة الإسكندرية هي الحائزة لقصبات السبق في ميادين الترقي،والكوكب المنير المضيء على القطر المصري بأجمعه"(٣٥) ويمكن القول بأن هذا المجال من نشاطات الجمعية، قد انصب عليه جلّ اهتماماتها خلال عامها الأول.

ب- التعليم:

كانت مدارس التعليم في مصر تتنوع ما بين وطنية وأجنبية على اختلاف جنسياتها. وكانت المدارس الوطنية تنقسم على قسمين: حكومية وأهلية، وفي الوقت الذي كان فيه رجال الجمعية لا يرون مبرراً لإلحاق أبناء المصريين بالمدارس الأجنبية؛ كانوا ينتقدون المدارس الوطنية بنوعيها – الحكومية والأهلية – أما الأهلية فلأنه ثبت بالبرهان أن عدداً كبيراً منها، لا يُقْصَد من ورائه إلا تحقيق مكاسب مادية لنظارها من بابٍ يتسترون، فيه حينما تُسَدُّ في وجوههم أسباب الكسب، وأما الوطنية فلارتفاع كلفة التعليم فيها، ولنظمها التعليمية ذات الصبغة الغربية، ولإهمالها اللغة العربية والتربية الإسلامية.

فالشيخ "محمد زكي الدين سند" – مؤسس الجمعية – لا يخفى غضبه من نظارة المعارف العمومية؛ بسبب حملتها الشديدة على اللغة العربية "، حتى أنهكت قواها، أو حتى أماتتها في تلقي العلوم العالية وأحيت سواها " كما ينتقدها انتقاداً مريراً بسبب إهمالها لتدريس الأخلاق، " حتى جعلت للدين ساعة واحدة في الأسبوع " (٣٦)، بل إن النظارة لا تتورع عن تدريس كتاب لمستشرق إنجليزي فيه طعن على النبي (ﷺ)، ولولا المعارضة الشديدة لهذا الأمر لبقي هذا الكتاب وهو مقروء مسموع (٣٧).

لقد كانت هناك قناعة لدى المسئولين في جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، بأن الجمعية يجب أن تتحمل مسئوليتها في استكمال النقص في التعليم الابتدائي الديني، والذي ينبغي أن يكون الوظيفة الحقيقية للجمعيات الإسلامية (٣٨). وانطلاقاً من هذه القناعة لم تكد الجمعية تستكمل سنتها الأولى حتى قررت أن تستقبل عامها الثاني بتأسيس مدرسة عصرية إسلامية، يكون للديانة فيها حظٌ وفير، ولغرس مكارم الأخلاق في نفوس تلاميذها شأن كبير.

لقد كانوا حريصين على تكوين أجيالٍ تنشأ نشأة دينية صالحة، وتتخرج في مدارسهم على أسمى قواعد التربية الإسلامية وأشرف المبادئ

الخلقية، مع بث مكارم الأخلاق في نفوسهم، وتغذية قلوبهم بمبادئ الشريعة الغراء، ثم تحفيظهم القرآن الكريم، مقروناً بالتجويد الذي عُدِمَ في معظم مدارس القطر المصري، كل ذلك محفوفاً بالحرص على تثقيف عقولهم باللغات والعلوم العصرية التي تؤهلهم لنيل الشهادة الرسمية، لاسيما علوم الحساب والرياضيات التي أهملت في مدارس القطر المصري، على اختلاف أنواعها، مع أنها "من أفضل وسائل الحياة في هذا العصر " (٣٩).

أصبح مشروع المدرسة العصرية ذات الصبغة الإسلامية أمراً واقعاً بحلول العام الثاني من عمر الجمعية. إذ لم يكد يُنْشَر نبأ افتتاحها، حتى أقبل أولياء الأمور على إلحاق أبنائهم بها إقبالاً فاق كل توقع، وضاقت المدرسة بتلاميذها برغم اتساع مبناها، فقررت الجمعية نقلها إلى مكان آخر تتوافر فيه شروط الصحة العامة، ويقع بمنقطة محرم بك التي كانت مشهورة بنقاء الهواء وحسن المناخ.

كان للنجاح الذي حققته المدرسة في وقت وجيز، ولإعجاب الناس بالبرنامج الدراسي الذي وضع لها من قبل إدارة الجمعية أثره في أن رجلاً مثل "طوسون بك شريف" الذي كان متنظّراً ومشرفاً على مدرسة الحجاري، بعد وفاة مؤسسها "أحمد بك رستم العلايلي" قرّر أن يتنازل للجمعية عن نظارته للمدرسة المذكورة، لمّا اطلع على لائحة المدارس التي وضعتها الجمعية وصادفت منه قبولاً واستحساناً، فتسلمت منه الجمعية مدرسته شاكرة، وأدخلت عليها تعديلات كبيرة جعلتها صالحة لقبول عددٍ أكبر من التلاميذ، ثم حورت الجمعية نظام التعليم فيها بما يتماشى مع ما هو متبعٌ في المدرسة الأولى. وبذلك خَلُصَ للجمعية مدرستان كبيرتان – وهي لم تزل بعد في سنتها الثانية – يضمان ثلاثمائة تلميذ؛ أكثر من الستين منهم يتلقون تعليماً مجانياً، بالإضافة إلى أبناء الأعضاء الذين لا يتحملون سوى نصف الرسوم المقررة (٤٠).

وفي العام اللاحق – أعني السنة الثالثة من عمر الجمعية – أنشأت الجمعية قسماً ليلياً بمدرسة الحجاري، يتعلم فيه أصحاب الأشغال المعاشية

النهارية ([41]). وفي العام نفسه باتت الجمعية تشرف على المدرسة التحضيرية الواقعة بملك "صفر باشا"، وفي أبي حمص القريبة من الإسكندرية، رجا عددٌ من كبار أعيانها وعمد قراها من الجمعية، أن تقبل بإدارة مدرسة هناك، كانوا قد أقاموها بجهودهم الذاتية؛ لتعليم أبناء تلك الناحية وتربيتهم تربية عصرية دينية. وراودتهم رغبة أكيدة في أن تقوم الجمعية بإداراتها وتنظيم العملية التعليمية فيها، بما يتماشى مع الأنموذج المطبق في مدارسها. ولما كان ذلك مما يتوافق مع ما ارتآه مجلس إدارة الجمعية، من ضرورة توسعها في تطبيق تجربة الجمعية التعليمية فقد وافق مجلس الإدارة على هذا الطلب، وتسلم المدرسة من مؤسسيها، وأخذ في إدارتها منذ نهاية العام ١٣٢٠هـ (أوائل ١٩٠٣م) ([42]).

وهكذا لم ينقض العام الثالث من عمر الجمعية، إلا وقد أصبح لها من المدارس الخاضعة لإدارتها وإشرافها أربعة: ثلاثة بالإسكندرية تضم إحداها قسماً ليلياً ، وواحدة بأبي حمص؛ الأمر الذي حدا بمجلس الإدارة إلى إنشاء لجنة متفرعة عنه، عرفت بلجنة المدارس، وذلك لمتابعة أعمال المدارس التابعة للجمعية.

ومن ناحية أخرى، حرصت الجمعية على التوسع في التعليم المجاني؛ فرفعت نسبته في المدارس التابعة لها إلى نحو الثلث، كذلك عملت على مراقبة تلاميذها مراقبة فعالة، فألزمتهم بزيٍ خاصٍ بهم يمثل الجمعية ويميزها داخل المدارس وخارجها؛ حتى يتسنى لمفتشي هذه المدارس ملاحظتهم في الطرقات أيضاً أثناء ذهابهم وإيابهم من المدرسة وإليها، فضلاً عما في هذا العمل من إزالة لأثر الفوارق الاجتماعية، التي قد تكون موجودة بين بعض التلاميذ وبعضهم الآخر، وفي ذلك يقول رئيس لجنة المدارس - شارحاً الغرض من مسألة الزي الموحّد أثناء حديثه لأعضاء الجمعية وأولياء أمور التلاميذ- : " إن من أعظم ما نعرضه عليكم من أوجه النظام وطرق النجاح أنكم لو أحضرتم تلميذين أحدهما غنيٌ متقمش والثاني أقل منه، وأوجدتهما في مقعدٍ واحدٍ يتعلمان سوية يلاحظ عليهما تأفف الغني وتحسر الفقير، وهذه الحالة من أقوى عوامل شغل البال الحائل بينهما وبين التعليم، ولا يخفاكم أن المدارس تجمع من كل

الطبقات فمنعاً لما ذكر قررنا عمل زيٍّ يتساوى فيه التلاميذ فلا فقير ولا غنيّ " (٤٣).

جـ- المجلة والمطبعة:

إعمالاً لقانونها الأساسي الذي كان ينظم عملها، كانت جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية بالقاهرة، قد أصدرت بعد إشهارها مجلة علمية أدبية دينية تهذيبية، سميت بمجلة" مكارم الأخلاق الإسلامية"، وهي مجلة نصف شهرية اعتادت على الصدور في اليومين الأول والخامس عشر من كل شهر هجري " (٤٤).

ويبدو أنه كان لطبيعة المجلة الوعظية، ثم لانخفاض ثمنها مقارنة بمثيلاتها من الصحف الأخرى، أثره في أن بلغ عدد المشتركين فيها بعد أشهر قليلة من ظهورها زهاء أربعة آلاف مشترك (٤٥)؛ ذلك أن إدارة الجمعية قد عمدت إلى خفض قيمة الاشتراك فيها، بحيث أصبحت لا تتعدى خمسة عشر قرشاً داخل القطر المصري وثمانية عشر قرشاً للمشتركين من الخارج. ومما لا شك فيه أن وجود العالم الجليل الشيخ" محمد زكي الدين سند" على رأس هيئة تحرير المجلة، كان عاملاً قوياً من عوامل ازدهارها وانتشارها.

وبوفاة الشيخ "زكي الدين سند"، اعترى إدارة المجلة ضعفٌ ووهنٌ كبيرين، كما تعرضت لأزمة مالية حادة كان من نتيجتها حل الجمعية الرئيسة بالقاهرة في حين بقي فرعاها في الزقازيق والإسكندرية يعملان بانتظام، وكان قد صدر من هذه المجلة أعداد سنة بتمامها ثم العددان الأول والثاني من السنة الثانية، في حين طبع العدد السابع، ولكنه بقي دون توزيع، ولما كانت هناك قناعة لدى أعضاء الفرع السكندري من الجمعية بأن " المجلات الدينية هي خير وسيلة في هذا الزمان تستخدم في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان القائمون بنشرها من أهل البصيرة بالدين والخبرة بأحوال المسلمين "(٤٦)، فقد صحت عزيمة هؤلاء على إحياء مجلة مكارم الأخلاق الإسلامية وبعثها من جديد؛ لتواصل مهمتها في الوعظ والإرشاد، وحتى لا يكون مصيرها كمصير

غيرها من المجلات الدينية، التي احتجبت واحدة بعد الأخرى، حتى لم يتبق منها سوى مجلة "المنار" التي كانت تصدر بلسان جمعية "العروة الوثقى".

حرصت جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية بالإسكندرية على إحياء المجلة، ولكن بطريقة تضمن لها البقاء والاستمرار في هذه المرة، فخصصوا لإدارتها مكاناً واسعاً بشارع المحافظة بالثغر السكندري، واشتروا من أجلها مطبعة مجهزة بأدواتها مستعدة لطبع المجلة ولطبع غيرها من المطبوعات. وبذا تضمن الجمعية دوام إصدار المجلة من غير انقطاع، كما شكلت الجمعية لإدارة المجلة لجنة علمية تضم نخبة من الكتاب من فضلاء السكندريين، وقد كُلِّف هؤلاء بطرق كل باب يخدم الدين ويفيد المسلمين.

ولما كانت أعداد السنة الأولى للمجلة قد صدرت بتمامها (٤٧)، كما صدر العددان الأول والثاني من السنة الثانية، في حين طبع العدد السابع ولم ينشر بل بقي محفوظاً لدى مسئولي الجمعية فقد قررت إدارة المجلة أن تعد أن السنة الثانية من عمر المجلة تبدأ من أول المحرم ١٣٢٠هـ (إبريل ١٩٠٢م)، وفيها يصدر الفرع السكندري العدد الثالث من السنة في غرة شهر صفر وهو العدد الأول له، على أن يصدر العدد الرابع في الخامس عشر من شهر صفر وبذلك تستكمل المجلة عدتها أربعة أعداد في شهرين بوصفها مجلة نصف شهرية كما كان مقرراً لها عند إنشائها، ثم يصدر العددان الخامس والسادس في شهر ربيع الأول في العام١٣٢٠هـ، وفي شهر ربيع الثاني من العام نفسه يوزع العدد السابع الذي طبع في مصر مع الثامن الذي سوف يطبع في مطبعة المجلة بالإسكندرية، وبعد ذلك ينتظم إصدار عددين من المجلة في كل شهر، حسب الترتيب الأصلي الموضوع لها منذ الإنشاء (٤٨).

على أن القائمين على أمر إصدار المجلة، لم يستطيعوا السير على الخطة التي رسموها لأنفسهم بالدقة اللازمة؛ ذلك أنه لم يحن وقت إصدار العدد الثاني والعشرين من السنة الثانية (عدد ١٥ ذو القعدة ١٣٢٠هـ/

١٣ فبراير ١٩٠٣م) إلا وكان للمشتركين أربعة أعدادٍ متأخرة. ولمعالجة هذا التأخير المخلّ بنظام صدور المجلة قرر المسئولون عنها أن يرفقوا بالعدد المذكور عدداً آخر من الأعداد المتأخرة، وهكذا يفعلون مع كل عددٍ جديدٍ حتى لا يبقى للمشتركين متأخرٌ من الأعداد؛ وحتى ينتظم صدور المجلة في أوقاتها المحددة (٤٩).

وعندما دخلت المجلة سنتها الثالثة، كانت قد تخلصت تماماً من مشكلة تأخر صدور بعض أعدادها، كما انتظم صدورها في عدة أبواب معتادة هي: باب تفسير القرآن الكريم، العقائد والعبادات، الأخلاق والعادات، الخطب الدينية، التاريخ، الأدب، الأخبار، السؤال والجواب، ذكرى الجمعية(٥٠).

ويفهم من مطالعة أعداد المجلة في هذه المرحلة المبكرة من عمرها، أنه كان لديها وكلاء في مناطق مختلفة من العالم العربي والإسلامي؛ فقد كان لها وكلاء في القدس الشريف (٥١) وبيروت (٥٢) وحلب (٥٣) وحيفا وطهران وسنغافورة (٥٤) وطرابلس الغرب (٥٥). وهؤلاء كانوا يقومون بدور الوساطة بين إدارة المجلة والمشتركين فيها. فيتولون جمع الاشتراكات لصالح المجلة، ثم توزيع أعدادها على المشتركين، وغنيٌ عن البيان أنه ما كان ينبغي لمثل هذه الصحيفة الناشئة بإمكاناتها الضعيفة والمحدودة أن تصل إلى هذه الأصقاع البعيدة النائية، إلا إذا كانت تتمتع بمصداقية لدى القراء، وقناعة أكيدة منهم بأهدافها ومراميها، وبما ينشر فيها من مواد، لا شك أنها كان ترضي ميولهم، ورغائبهم وطموحهم نحو التثقيف الديني.

على أن الاعتبارات السياسية كانت – أحياناً – تلعب دورها في هذا المجال، فقد حدث أن منعت حكومة السودان – لأسباب غير مفهومة – دخول المجلة إلى أراضيها؛ الأمر الذي أدى إلى تذمر المشتركين هناك من عدم وصول المجلة إليهم، فأهابت المجلة بهذه الحكومة أن تصرح بدخول المجلة إلى بلاد السودان، أسوة بغيرها من المجلات المصرية (٥٦)، فاستجاب وكيل الحكومة إلى هذا الطلب، وسمح بدخول المجلة وتوزيعها

وانقطعت بذلك شكوى المشتركين، وقد شكرته إدارة المجلة على هذا الموقف (٥٧).

وعندما أوفت المجلة سنتها الثالثة ودخلت عامها الرابع، أدخلت إدارتها تعديلاً على نظام صدورها؛ بحيث أصبحت تصدر عدداً واحداً شهرياً بدلاً من عددين، مع المحافظة على عدد الصفحات التي كان تصدر بها في العددين (٥٨). وقد قيل إن الهدف من هذا الإجراء، هو توفير ثمن إرسالها بالبريد للمشتركين، ويؤكد محررها أن الربح المادي مستبعد تماماً من وراء هذا التعديل الجديد؛ فالغرض شريفٌ وليس بقصد التجارة؛ بدليل أن المجلة خفضت قيمة الاشتراك بقدر ما توفر من تكلفة إرسالها عن طريق البريد؛ أي أن هذا الوفر سوف يعود إلى المشتركين، وليس إلى المجلة(٥٩).

وعندما اتحدت جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية بجمعية الملاجئ العباسية، وكان ذلك في السنة السادسة من عمر المجلة، صارت المجلة تحمل اسماً جديداً هو مجلة " جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية ". وقد صدر العدد الأول منها بهذا الاسم في المحرم من العام ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م. وقد وصفت " المنار " هذا العدد بأنه جاء " مطبوعاً على ورق جيد، كما تنوعت مباحثه ومسائله المفيدة " (٦٠). وقد جُعِلت المجلة منذئذٍ هدية للمشتركين في الجمعية.

وعندما انضوت الجمعية أخيراً تحت لواء جمعية العروة الوثقى، صار عنوان المجلة :" مجلة جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية التابعة لجمعية العروة الوثقى الخيرية ". وقد وصفت بأنها " مجلة دينية أدبية علمية صحية تاريخية عمرانية " .وفي ظل " العروة الوثقى " أخذت المجلة " ترقى من سنة إلى أخرى رقياً محسوساً، يدل عليه غزارة مادتها واتساع أبوابها وتعددها حتى بلغت اثنى عشر باباً غير الباب الخاص بترقية الوعظ الديني والخطابة الدينية " (٦١). كما حافظت الجمعية على مواعيد صدور المجلة وتوزيعها، حتى انقطعت بذلك شكوى المشتركين تماماً، وكان رقيها المادي والأدبي سبباً في زيادة الإقبال عليها زيادة تدل

على أن جمهور القارئين أخذوا يقدرون عناية الجمعية في تحسينها حق قدرها، وهو الأمر الذي ترتب عليه زيادة عدد المشتركين فيها.

أما فيما يتعلق باشتراكات المجلة، فقد حرصت جمعية مكارم الأخلاق على أن توضح للقراء أنها لا تقصد إلى تحقيق ربحٍ شخصيٍ من إصدار هذه المجلة؛ وإنما الهدف منها هو إرشاد الأمة إلى آداب الدين الحقة وخدمة الأمة في دينها ودنياها، والدفاع عن الدين في وجه أعدائه، وتعليم الناس، وذلك كله انطلاقاً من حقيقة مفادها أن الدعوة إلى الهدى بنور الله ورسوله من ألزم الواجبات وأكبر المسئوليات في الإسلام، كما أن تعليم الدين وبث أصوله في نفوس أهله فريضة، لا يصح تركها ولا التقاعس عنها بوجهٍ من الوجوه (٦٢). ومن ثم فإننا لا نستغرب إذا وجدنا أن ثمن المجلة منذ ظهورها كان منخفضاً عن نظيراتها من المجلات الأخرى (٦٣)، بل إن إدارة المجلة تقرر في وضوحٍ وجلاء أن ما زاد عن مصروفاتها – إن كانت هناك زيادة – سوف يخصص للإنفاق على تعليم الفقراء في مدارس الجمعية، وتربية الأيتام بملجئها، وإحياء ليالي الوعظ والإرشاد الديني والأدبي بمركزها (٦٤).

ولعل هذه الصبغة الدينية والخيرية التي كانت للمجلة، هي التي أدت إلى زيادة إقبال الناس على الاشتراك فيها، حتى قدر عددهم بأربعة آلاف، خلال الأشهر الأولى من ظهورها، سواء من كان منهم من أهل القطر المصري أم من خارجه، على أن هؤلاء لم يكونوا جميعاً في منزلة واحدة. من حيث الالتزام بسداد اشتراك المجلة في مواعيده المقررة، على الرغم من طابع المجلة الديني والخيري؛ ففي الوقت الذي يشيد فيه محرر المجلة بأهل السودان لأنهم " أكثر المشتركين سخاء وأبرهم صلة وأقربهم إجابة على بعد مزارهم وتنائي ديارهم، فقد سددوا اشتراكهم، وبرهنوا على حسن غيرتهم وكمال حنانهم وشفقتهم، " كما يشيد بأهالي القرى الصغيرة في الوجهين القبلي والبحري وبالإسكندرية ، نجده يشكو مُرّ الشكوى من مشتركي القاهرة – وعددهم يزيد عن الألف – بسبب تأخر كثيرين منهم في دفع اشتراك المجلة (٦٥).

وعندما رأت جمعية مكارم الأخلاق أن ملجأها الذي أنشأته برعايتها يحتاج إلى مزيدٍ من النفقات، قررت أن تخصص له ربح المجلة لتعينه على القيام بواجباته، ولتضمن له البقاء والاستمرار حتى يَعُمّ النفع به، وتنتهز إدارة المجلة الفرصة لتهيب بالمشتركين أن يسددوا اشتراكاتهم المتأخرة للمجلة، ويقول محررها : " إني والله لأخجل حينما أرى فلاناً المسيحيّ يرسل لملجأ أيتام المسلمين بالخمسين جنيهاً وأرى المسلم يبخل بخمسة عشر قرشاً يخرج منها ما يزيد على الثلثين مصروفاتٍ من ورقٍ وطباعةٍ وبريدٍ ونحو ذلك " (٦٦).

وفي العدد التالي يكرّرُ المحرر مناشدته للمشتركين المتخلفين عن سداد الاشتراك إلى ضرورة المسارعة بدفعه. ويبدو أن هذا الأمر قد كان بالغ الأهمية للمجلة، ليس من أجل المداومة على ظهورها فقط، وإنما من أجل الاستعانة بفائضها في الإنفاق على المشروعات الخيرية التي تتبناها الجمعية وفي مقدمتها ملجأ الأيتام. وقد تجلت هذه الأهمية عندما كتب أحد أعضاء الجمعية مقالاً مطولاً نُشِر في جريدة " المؤيد " بخصوص هذا الموضوع. وقد أعادت المجلة نشر المقال كاملاً، وكان مما جاء فيه: " كنا نظن أن الأمة تقدمت وترقت في المدنية لدرجة أنها تعضد المشروعات الخيرية بالأموال والنفوس شأن كل أمة متقدمة تعلم بحقوق الإنسانية وواجبات الحياة ولكن مع الأسف، "ويستطرد كاتب المقال : " إن مجلة يطبع منها كل عدد ستة آلاف نسخة الآن لحقيق بها تَكَفّلُ ستمائة يتيم متى دفع مشتركوها اشتراكاتهم " (٦٧). ولا تفتر عزيمة محرري المجلة عن تذكير المشتركين في الأعداد التالية – وفي كل مناسبة – بسرعة سداد الاشتراك، كلما وجدوا فرصة لذلك.

وبرغم الصعوبات التي كانت تواجهها إدارة المجلة في إلزام المشتركين بدفع قيمة الاشتراك في الأوقات المحددة إذا بها تقرر في مطلع العام ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م – وهي السنة الخامسة من عمر المجلة – رفع قيمة الاشتراك من خمسة عشر إلى عشرين قرشاً. وبرّرت هذا الإجراء بأنه جاء في مقابلة تحسين ورق المجلة وتجويد طباعتها، لاسيما وقد لاحظ الجميع ذلك التطور الكبير الذي طرأ على المجلة. ممثلاً في تنوع

موضوعاتها وغزارة مادتها، مذكرة في الوقت نفسه أن إيرادات هذه المجلة – فيما لو أربت على نفقاتها – سوف يستعان بها على إعالة أولئك الأيتام، الذين تستجدي الجمعية من أجلهم " مراحم كل ذي مروءة وعاطفة إسلامية ".

ولا يريد المسئولون عن المجلة أن يفوتوا فرصة من دون تذكير المشتركين بدفع القيمة المطلوبة لوكلاء المجلة: " حتى لا يذوقوا مضض الغربة وحرارة الشمس وبرودة الليل من دون جدوى " (٦٨). لاسيما وأن عدداً منهم يجد نفسه مضطراً إلى التنقل بين كثير المدن والقرى؛ من أجل جمع قيمة الاشتراك من المشتركين، يحدث ذلك في الوقت الذي كان فيه عدد مشتركي المجلة حوالي أربعة آلاف ونيِّف(٦٩). وهذا يعني أنه بعد مرور أربع سنوات على ظهور المجلة لم يزد عدد مشتركيها كثيراً عما كانوا عليه في العام الأول، ومع هذا ترى المجلة أن هذا العدد " ليس بقليل بالنسبة لمن يولون وجوههم شطر الدين بإخلاص "، ولا هو بكثيرٍ إذا ما قورن بتعداد الأمة المصرية التي تفوق الأحد عشر مليوناً نسبة المتفقهين منهم خمسة وستون بالمائة (٧٠).

رَفعٌ جديدٌ لقيمة الاشتراك فرضته إدارة المجلة عندما صارت تحمل اسم مجلة " جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية " فقد رُؤىَ أن تكون قيمة الاشتراك ثلاثون قرشاً في مصر وعشرة فرنكات في سائر الأقطار على أن يقبل من طلاب العلم نصف القيمة، والتذكير متواصلٌ بأن الربح – إن وجد – هو لمساعدة الأيتام في الملجأ والفقراء في المدارس (٧١).

وبعد سنوات قليلة من تستلم جمعية العروة الوثقى لزمام إدارة المجلة، أمكننا أن نحصل على أرقام تفصيلية أكثر دقة، فقد بلغ عدد النسخ التي توزع منها شهرياً ٨٢٦٨ نسخة، بنفقات تبلغ ثمانمائة وأربعة وتسعين جنيهاً وأربعمائة وخمسين مليماً، كما بلغ مجموع الاشتراكات ألفاً واثنين وستين جنيهاً وسبعمائة وخمسة وستين مليماً، بصافي ربح يبلغ مائة وسبعين جنيهاً وثلاثمائة وخمسة عشر مليماً، أضيف إلى حساب

الملجأ العباسي (٧٢). وبعد سنوات قليلة أخرى كانت الحكومة وحدها تشترك في المجلة بنحو السبعة آلاف نسخة (٧٣).

هذا كل ما يتعلق بالمجلة التي كانت تصدرها الجمعية، والتي كانت قد اشترت المطبعة خصيصاً من أجل طبعها، تلك المطبعة التي نقلت في مرحلة ما من مكانها الأصلي بشارع المحافظة إلى مدرسة محمد علي الصناعية الخاضعة لإدارة جمعية العروة الوثقى (٧٤)، والتي سميت في مرحلة أخرى بمطبعة الملاجئ العباسية.

ولم يقتصر دور مطبعة الجمعية على طباعة المجلة فقط إنما عملت الجمعية على استغلالها بطريقة تدر عليها ربحاً مادياً، عن طريق قيامها بطبع الكتب ونشرها بمقابلٍ مادي، وكان من الكتب الشهيرة التي طبعت فيها كتاب " اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة "(٧٥)، وكانت طباعته " على ورق أبيضٍ صقيل ، وحرف جميل " (٧٦).

كما استخدمت المطبعة أيضاً كمكانٍ للتدريب العملي، يتعلم فيها فريقٌ من تلاميذ الملجأ الذي أنشأته الجمعية صنعة الطباعة (٧٧).

وهكذا كان الهدف الذي توخته الجمعية من إصدار المجلة، هو تهذيب الأخلاق والارتقاء بمستواها ونشر الآداب والفضائل الدينية بين الناس من جهة، ثم مساعدة أيتام الملجأ بما يتوافر من إيرادها من جهة أخرى.

د- ملجأ الأيتام:

يعد ملجأ الأيتام (٧٨) الذي أقامته جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية بالإسكندرية، من أعظم الأعمال الخيرية التي قدمتها الجمعية لخدمة المجتمع السكندري. وقد كان إنشاء هذا الملجأ مصدر فخرٍ لأعضاء الجمعية، حتى إنهم كانواْ يتباهون على صفحات مجلتهم، بأنه لو لم يكن لهم من الأعمال سوى هذا الملجأ الذي أسسوه لتربية الأيتام؛ حرصاً عليهم من الوقوع بين مخالب أولئك المنصرين، الذين أسسوا ملاجئهم لنشر المبادئ المسيحية لكفاهم بذلك فخراً ومجداً (٧٩).

ولعل مما ضاعف من أهمية هذا الملجأ، أنه جاء في وقتٍ كانت البلاد تخلو فيه من مؤسسة أهلية مماثلة تعني فيه بهؤلاء الأيتام الفقراء البائسين، وكذلك اللقطاء الذين لا ذنب لهم، في حين نشطت البعثات التنصرية في التوسع في إنشاء مثل هذه الملاجئ؛ رغبة منهم في استغلال هؤلاء في نشاطاتهم المشبوهة.

كانت الغاية التي توختها الجمعية، من إنشاء الملجأ هي إيواء وتعليم، وتهذيب من فقدوا الحنان الأبوي، وألجأتهم الضرورة وفقر اليتم إلى السير في الشوارع والطرقات، يتلمسون ما يقتاتون به فلا يصلون إليه إلا بأحط الطرق وأقبح الوسائل؛ إذ لا آباء يعولونهم ولا مال لدى أمهاتهم ينفقنه عليهم في تحسين أحوالهم، فإذا تركوا وشأنهم فلا يلبثون إلا أن يساقوا إلى السجون، ويخرجون منها مجترئين لا يوقرون عظيماً ولا يخشون أحداً، فيؤذون المجتمع ويصبحون عقبة في سبيل رقيه وتقدمه، أما إذا أنشئ لهم ملجأ يؤويهم ويسد حاجتهم ويزيل جهلهم، فينشأون حينئذٍ خير نشأة صالحة متحلية بمكارم الأخلاق وجميل الفضائل (٨٠).

بدأت الفكرة، عندما نشر محرر المجلة، في افتتاحية العدد العشرين من سنتها الثانية، مقالاً ضافياً بعنوان: " نداء واستشارة " بدأه بالآيتين الكريمتين { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى} (٨١)، ثم أفاض في وصف المعاناة التي يشكو منها الأيتام في القطر المصري، وكيف أن لأمثالهم في الدول الأجنبية دوراً للعناية بهم، ثم أهاب المحرر بأعضاء الجمعية أن يروا رأيهم في إمكانية إنشاء دارٍ للأيتام بالثغر السكندري.

تلقت الجمعية الدعوة بهمة وحماس شديدين، ودعت مجلس إداراتها للانعقاد؛ من أجل بحث الاقتراح، وبعد مداولات وتبادلٍ للأفكار والآراء، استقر رأي الأعضاء على قبول الاقتراح بضرورة العمل على إنشاء ملجأ لأيتام المسلمين؛ من الفقراء والمعوزين والمحرومين من وجود عائل، يُرَبّون فيه تربية مجانية داخلية ، ويتلقون فيه العلوم الابتدائية والصنائع والفنون النافعة، على أن يَسْتثمر رأس مال لكل تلميذ يصرف إليه عند

خروجه من الملجأ بعد تمام تربيته وتعليمه.

وبعد الموافقة شرعت الجمعية في وضع لائحة أساسية للملجأ، جاءت في سبع عشرة مادة (٨٢)، وحازت على مصادقة أعضاء مجلس الإدارة بالإجماع، ثم استقر الرأي على طرح هذه اللائحة لتكون مجالاً لنقاش عام يشارك فيه العلماء والمثقفون والكتاب والصحفيون وكل من له اهتمام بمساعدة الفقراء لإبداء رأيهم فيها وتقديم النصح والمشورة للجمعية في فترة لا تتجاوز ثلاثين يوماً؛ وذلك أملاً في الوصول باللائحة والمشروع إلى أحسن صورة ممكنة، تساعد على تحقيق الأهداف المرجوة منه.

تلقى المجتمع السكندري على اختلاف مشاربه فكرة المشروع بمزيدٍ من الارتياح والسرور؛ وذلك لمجيئه في وقت كانت البلاد في حاجة ماسة إليه، وأثنى الجميع على القائمين به ثناء جميلاً، وتمنوا لو أن الأمة بأكملها تمد يد المساعدة لهذا العمل الخيري الجليل؛ لتبرهن للملأ أنها أمة حية كريمة معطاءة تعرف واجباتها، وتقدر المشروعات الخيرية حق قدرها. وأبدت بعض الصحف ملحوظات جديرة بالاهتمام على لائحة الملجأ المقترحة، أخذت الجمعية ببعضها مما ارتأته صواباً وطرحت بعضها الآخر. وبذا أمكن الاتفاق على اللائحة في صورتها النهائية (٨٣)، وصدرت بصورة رسمية بعد أن صدق عليها مجلس إدارة الجمعية في ١٧ من محرم ١٣٢١هـ (١٥ من إبريل ١٩٠٣م) (٨٤).

حصل المشروع على تعضيدٍ كبير من "محمود باشا صدقي" محافظ الإسكندرية، والذي قام بنقل فكرة المشروع بتفصيلاتها إلى الخديوي "عباس حلمي الثاني"، وأظهر هذا الأخير مزيد سروره منه وترحيبه به، وقال : " إن هذا المشروع نفسي متطلعة إليه منذ سنين عديدة " ثم مدح أهل الثغر لأنهم يسارعون في الخيرات بهمة عالية، بل إنه وافق على استقبال وفدٍ يمثل الجمعية ليشرح له فكرة عن المشروع.

شُكِّل وفد الجمعية بسرعة كبيرةٍ، وسافر من الإسكندرية إلى القاهرة على عجل، وشَرُف بمقابلة الخديوي في قصر عابدين لمدة تجاوزت الأربعين دقيقة، وفي نهاية اللقاء تبرع الخديوي وابنه ورياض

باشا للمشروع، ثم عاد الوفد إلى الإسكندرية (٨٥).

كانت الخطوة الآتية هي البحث عن مصادر لتوفير التمويل اللازم للمشروع؛ إذ مما لا شك فيه أن المال هو روح الأعمال، وأن كل مشروع لم يكن له رأس مالٍ كافٍ لإدارته، فعبثٌ محاولة إنجاحه بوسيلة أخرى، ولما كانت جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية ذات إمكانات مادية متواضعة ، ولا يمكنها بمواردها القليلة – سواء من اشتراكات أعضائها أو الفائض من مجلتها أو غير ذلك – أن تنفق على مشروعٍ ضخمٍ كهذا يحتاج إلى أموالٍ طائلة بصفة دائمة، لذا عمدت الجمعية إلى شحذ همم الموسرين والقادرين من أبناء المجتمع السكندري، واستثارة النزعة الدينية والخيرية لديهم؛ لإقناعهم ببذل أموالهم من أجل إنجاز المشروع وضمان استمراره، وقامت الجمعية بحملة ترويجية ضخمة في كافة الأوساط الاجتماعية؛ لتعريف الناس بأهداف المشروع وأهميته للمجتمع، وأنه إنما يأتي استجابة لتعاليم الدين التي تحث على ضرورة الاهتمام باليتيم والعناية به، وسرعان ما بدأت التبرعات تنهال على الجمعية وقد بدأها الخديو "عباس حلمي" بمبلغ سبعة وتسعين جنيهاً ونصف الجنيه، ثم الأمير "حسين كامل" (٨٦) بمبلغ خمسين جنيهاً ثم الأمير "كمال الدين" (٨٧) بمبلغ خمسة وعشرين جنيهاً، ثم الأميرة "نازلي" (٨٨) بمبلغ عشرة جنيهات، كما أسهم "محمود صدقي" محافظ الإسكندرية بمبلغ خمسة جنيهات. وعلى الإجمال فقد بلغت حصيلة التبرعات التي حصدتها الجمعية من حملتها الأولى لجمع التبرعات مائتين وأربعة وستين جنيهاً وثلاثمائة وخمسة وعشرين قرشاً.

على أن مما يلاحظ على قائمة المتبرعين الأولى هذه، أن بعض هؤلاء كانوا من خارج الإسكندرية، كما أن بعضهم الآخر لم يكونوا من الأثرياء ثراء فاحشاً، فأحدهم كان موظفاً صغيراً بمحكمة قنا، وقدم للجمعية جنيهين تقريباً على سبيل التبرع، مع تعهدٍ من جانبه بأن يحافظ على دفع هذا المبلغ بصفة سنوية (٨٩).

ولم يكتف محافظ الإسكندرية بما دفعه من أموال وإنما عقد اجتماعاً

بمنزله لأعيان مدينة الإسكندرية في ليلة الخميس ٦ من ذي الحجة ١٣٢٠هـ / ٦ من مارس ١٩٠٣م واستغل الفرصة ليبين للحاضرين ثمرات المشروع، وليؤكد لهم رضا الخديو عنه وعن الجمعية التي تتحمل عبء تنفيذه، ثم حثهم على التبرع والاشتراك في عضوية الجمعية، فاستجابوا جميعاً، حتى إن أحدهم أصرّ على دفع قيمة الاشتراك أضعافاً مضاعفة، كما ألقى مفتي الثغر خطبة، ذكر فيها فضل إكرام اليتامى والاعتناء بتربيتهم ، ثم انهالت التبرعات حتى بلغت مائة وثلاثة وسبعين جنيهاً، وكان من المتبرعين هذه المرة قاضي المحكمة ونائبها ومفتي الثغر وعدد من الأعيان (٩٠).

وفي حملتها الثالثة لجمع التبرعات التي شنتها الجمعية على صفحات مجلتها، أمكن لمكارم الأخلاق أن تحصد ما مجموعه مائة وستة جنيهات من الأمراء والأعيان ومحسني الأمة. على أن مما يلاحظ على قائمة المتبرعين الثالثة هذا هو ذلك التنوع الشديد في المتبرعين سواء من حيث المستوى الاجتماعي أو الشمول المكاني، فمن والدة (٩١) الخديوي، إلى الأمير "عمر طوسون"(٩٢)، إلى أحد قضاة محافظة أسيوط، إلى بعض العلماء، بالإضافة إلى التبرعات المقدمة من بعض نظار الأوقاف. وعلى كل حالٍ فإن الأكثر أهمية من هذه الأموال المجموعة هو ما ذكرته المجلة من أن عدداً من سراة الأمة ونخبة وجهائها، قد انضموا إلى الجمعية وأصبحوا أعضاء فيها (٩٣).

وبالتوازي مع استمرار عملية جمع التبرعات، كانت الجمعية تقوم بالبحث عن مكان ملائمٍ لاتخاذه مقراً للملجأ. ولما كان الخديو مهتماً لأمر هذا المشروع الخيري فهو يصدر أمراً لمدير عموم الأوقاف بأن يسلم الجمعية منزلاً من منازل الأوقاف الخيرية، لتجرى عليه ما يلزم من التعديلات لجعله صالحاً لاتخاذه ملجأ، ولكن المنازل المملوكة للأوقاف في الإسكندرية ،ليس فيها ما يصلح لهذا الغرض، لاسيما وأن مقار الملاجئ ونحوها من المدارس وغيرها تتطلب اشتراطات خاصة مثل خلوها من سائر الجهات، ونفاذ الشمس والهواء إليها، وإحاطتها بالخضرة. ولما كانت هذه الشروط لا تتوافر في منازل الأوقاف، فقد والت الجمعية البحث حتى

عثرت على ضالتها المنشودة، ووجدت منزلاً على شاطئ ترعة المحمودية جامعاً لأحسن الشروط من حيث المكان الرحب والخضرة والهواء النقي وغير ذلك من أسباب سلامة العقول والأبدان (٩٤).

ثم تلا ذلك قيام الجمعية بشراء ما يلزم للملجأ من الأدوات، وأعقب ذلك جمعيه نشر إعلانات في الصحف، حُدِّد فيها يوم ٢٠ من صفر ١٣٢١هـ (١٨ من مايو ١٩٠٣م) كبداية لفترة تتلقى فيها الجمعية طلبات الراغبين في إلحاق أبنائهم بالملجأ، ممن تنطبق عليهم شروط الالتحاق به، على أن يحدد موعد افتتاحه في وقت لاحق. وما هي إلا فترة وجيزة حتى تلقت الجمعية الكثير من طلبات الالتحاق من الإسكندرية وغيرها من البلاد القريبة منها.

ولم يفت الخديو أثناء إقامته في الإسكندرية لقضاء صيف العام ١٩٠٣م (١٣٢١هـ)، أن يرتضي استقبال وفد مكون من رئيس الجمعية وبعض أعضائها، ويستفسر منهم عن حال الملجأ والجمعية، وأثناء اللقاء يبدي الخديو استعداده لتقديم كل معونة قولية أو فعلية من أجل إنجاح هذا المشروع (٩٥).

وكلما تقدم العمل في المشروع كانت الحاجة ماسة للمزيد من الأموال، فتطلق الجمعية حملتها الرابعة لجمع التبرعات، من خلال لفت أنظار الصحابة وخطباء المساجد، إلى ضرورة حث الناس على بذل الجهد في الاكتتاب لهذا المشروع، الذي يعود بالنفع العام على الأمة، والجمعية إذ تستغل الفرصة لتوجه شكراً خاصاً لخطيب مسجد سيدي عبد الرازق الوفائي (٩٦) والذي خصص خطبة لهذا الموضوع نشرتها الجمعية كاملة على صفحات مجلتها. ومن خلال هذه الحملة الرابعة نجحت الجمعية في جمع ثلاثة وخمسين جنيهاً ونصف الجنيه تقريباً، ضمت إلى ما سبق تحصيله من أموال، ولأول مرة يظهر عددٌ من أعضاء الجاليات الأجنبية المقيمة في الإسكندرية في قائمة المتبرعين (٩٧).

حُدِّد يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شهر أكتوبر ١٩٠٣م (٢٩ من رجب ١٣٢١هـ) للاحتفال بافتتاح الملجأ. وفي الساعة الرابعة عصر اليوم

المذكور، كان الملجأ قد اكتظ بالمدعوين من كل كافة الطبقات، وعلى وقع إنشاد السلام الخديوي من تلاميذ مدارس جمعيتي مكارم الأخلاق والعروة الوثقى، دخل الخديو "عباس حلمي الثاني" الملجأ ترتسم على وجهه ملامح السرور مما شاهده في الملجأ، من حسن الاعتناء بالأيتام فضلاً عن إعجابه بسلامة اختيار موقعه وجودة هوائه وترتيب أثاثه حتى قال : " هذا شيء فوق المنتظر " ثم ألقى رئيس الجمعية خطبة، أبان فيها للحاضرين فضل الخديوي في إتمام الملجأ وظهوره على هذه الصورة، ثم ألقى أحد الأدباء قصيدة أرّخ فيها لهذا الافتتاح بقوله:

أتى لافتتاحٍ قلت فيه وجود خديوينا به الفتح أفيد

جاء افتتاح هذا الملجأ – الذي سمّي منذ ذلك الوقت بالملجأ العباسي تيمناً باسم الرجل الذي بني في عصره اعترافاً بفضله عليه – "بعد ذلك الجهد الجهيد والعناء المزيد، وبعد اليأس والقنوط والصعود والهبوط". كما تقول مجلة الجمعية، وقد وصفت المجلة الملجأ بأنه: قصرٌ مشيدٌ وفناءٌ واسعٌ فيه مبانٍ عدة للصنائع وإقامة الشعائر، وذلك القصر على طبقتين: الأولى للتعليم والأكل، والثانية للنوم والمستشفى، يكتنفه بستانٌ فاخر فيه من الأزهار والثمار ما يغني الأيتام عن الفاكهة الخارجة، ويتيسر لهم ممارسة وتعلم الزراعة فيه، يطل على النيل من الناحية القبلية، أما من الناحية البحرية فعلى حقولٍ ومزارع تقصر العين عن أن تأتي بآخرها، وبقية جهته بستانه، فهو طلق الهواء من كل جانب، واسع الرحاب، وبعد ترتيب أثاثاته الفاخرة وضعت ألواح على حوائطه ناطقة بالآيات والأحاديث الدالة على إكرام اليتيم، وقد وضع على بابه الداخلي صندوق للصدقات، وعلى بابه الخارجي لوحة مكتوب عليها "الملجأ العباسي " (٩٩).

وضع المسئولون عن إدارة الملجأ نظاماً يومياً معتاداً لنزلاء الملجأ، بدءاً من الاستيقاظ، ثم تناول طعام الإفطار، ثم أداء التمرينات الرياضية ثم الدروس مقسمة مناصفة بين النظرية (العلوم) والعملية (الصنائع)، ثم التريُّض حول النيل وما بين كل ذلك طعام الغداء والعشاء ثم النوم،

ولم يغب عن ذهن مسئولي الملجأ استغلال فرصة افتتاحه رسمياً لينظموا حملة تبرعات كانت هي الخامسة من نوعها نجحوا من خلالها في جمع مبلغ قدّر بمائة واثنين وتسعين جنيهاً تقريباً أسهم فيها المصريون والأجانب(١٠٠) ثم عززت الجمعية هذه الحملة الخامسة بأخرى سادسة بلغ ناتج المجموع منها مائة وثمانية وستين جنيهاً تقريباً (١٠١).

ومن جانبها لم تتأخر جمعية مكارم الأخلاق عن تقديم كل عون مادي للملجأ، كلما استطاعت إلى ذلك سبيلاً حتى إنها قررت أن تخصص له ربح المجلة، لتعينه على القيام بواجباته، ولتساعد على إمكانية استمراره(١٠٢). وقد كان لهذا الدعم المادي الذي غمر به الملجأ عددٌ من المتبرعين من ذوي الإحسان والفضل أثره في أن قررت الجمعية مضاعفة عدد النزلاء الذين يؤويهم الملجأ، من ثلاثين يتيماً عند افتتاحه إلى الستين بعد مضيّ السنة، ولو أمكن للملجأ أن يحصل على هبة كبيرة من أحد المحسنين، لأصبح في المقدور زيادة عدد هؤلاء الأيتام أضعافاً مضاعفة.

والواقع أن تكلفة استضافة هؤلاء الأيتام في الملجأ كانت مرتفعة للغاية بحيث صعب على جمعية ذات موارد محدودة مثل جمعيتنا هذه أن تتحملها بمفردها. وإذا كانت الجمعية قد نجحت في الحملات التي نظمتها لجمع التبرعات في جني بعض الأموال إلا إن ما جُمع لم يكن كافياً للوفاء بمصروفات الملجأ المتزايدة، هذا فضلاً عن عدم ضمان استمرارية تدفق التبرعات للملجأ؛ إذ يبدو مما نُشِر على صفحات مجلة الجمعية، أن عزيمة المتبرعين للملجأ قد فترت بمضي الزمن، ويظهر أن ما شاع بين الناس من أن الموجودين في هذا الملجأ – أو بعضهم على الأقل – هم نتاج علاقة غير شرعية، هو الذي كان يقف وراء إحجام الناس عن التبرع للملجأ، وقد كانت هذه الشائعات من القوة بحيث دفعت أحد كتاب المجلة إلى مناقشة هذه القضية، وقد فَنّد الكاتب هذا الزعم من الناحيتين الطبية والاجتماعية، وانتهى إلى القول بأن معظم هؤلاء الأيتام ممن فقدوا آباءهم وأمهاتهم في المهد، ثم يعود الكاتب إلى الاستدراك قائلاً : "فإمساك بعض

المحسنين عن مساعدة ملجأ الأيتام بحجة أن فيه اللقطاء وهم من أولاد الزنا لم يصادف الحقيقة، وعلى فرض أن اللقطاء ممن جنت عليهم آباؤهم فما ذنبهم حينئذٍ ؟ وهل لهم يدٌ فيما اقترفته آباؤهم ؟ كلا، بل إنه يجب أن يعتني بشأنهم وتهذيبهم خشية أن تسوء أخلاقهم فتعود عليهم بالشر"(١٠٣).

ولا تتوانى المجلة في انتهاز كل فرصة لحث الناس على التبرع للملجأ، ففي مقالها الافتتاحي لعددها السابع من سنتها الرابعة الذي جاء بعنوان " كلمة لأغنيائنا وكلاء المال "، كرّر فيه كاتبه ويدعى "محمد ضيف" الدعوة للمشاركين في المجلة بسرعة سداد الاشتراك وللموسرين للتبرع للملجأ الذي قال عنه كاتب المقال إنه: " أول ملجأ أُنْشِئ بمصر منذ فتحت ". ولا يتوانى قرّاء المجلة كذلك في ابتداع كل ما من شأنه تحفيز الناس على التبرع من طرقٍ وأساليب مبتكرة؛ فهذا "علي بك رفعت" مفتش الدومين (١٠٤) يرسل للجمعية بتبرعه المادي، مدعوماً بفكرة مؤداها أن تقوم المجلة بإطلاع الناس على ما يتكلفه اليتيم الواحد في السنة؛ لعل ذلك يكون محفزاً للراغبين في التبرع.

وتستجيب المجلة لهذا الاقتراح البنّاء؛ فتنشر على لسان إدارة الملجأ أن اليتيم الواحد يتكلف سنوياً ما مجموعه عشرة جنيهات وثمانين قرشاً بمتوسط قدره تسعون قرشاً شهرياً، يُنفق منها على إطعامه أربعمائة وثمانين قرشاً بمعدل أربعين قرشاً شهرياً، وعلى تعليمه ثلاثمائة واثنا عشر قرشاً بمعدل ستة وعشرين قرشاً، وعلى مأواه ستة وتسعون قرشاً بمعدل يبلغ ثمانية قروش، وعلى ملبسه مائة واثنين وتسعين قرشاً، ويفهم من هذا أن الملجأ ينفق سنوياً على أيتامه الستين سبعمائة وعشرين جنيهاً بمتوسط يبلغ ستين جنيهاً تقريباً في الشهر الواحد، وتؤكد إدارة الملجأ على حقيقة مريرة، مؤداها أن أكثر هذا المبلغ يُوفره من اشتراكات المجلة ومن تبرعات الأجانب – بصفة خاصة – بحيث ما لو انكشفت سحابة جود هؤلاء الأجانب، لم يتبق إلا إيرادات المجلة عائلاً لهؤلاء الأيتام (١٠٥).

لعل أكثر ما يعاب على المسئولين عن إدارة ملجأ الأيتام التابع

لجمعية مكارم الأخلاق الإسلامية هو اعتمادهم في توفير نفقات الملجأ على موارد غير منتظمة ولا دائمة، متمثلة في التبرعات التي تخضع لاعتبارات مختلفة وتتأثر دائماً بهوى المتبرعين. ولو كانوا قد لجأوا إلى الاستفادة من نظام الوقف الإسلامي لكان خيراً لهم وأقوم، بحيث لو كانوا قد وفقوا إلى إقناع أحد الواقفين – وما كان أكثرهم في هذا الوقت – بتخصيص جزء من إيراد وقفه للإنفاق منه على متطلبات الملجأ لضمنوا بذلك مورداً مالياً ثابتاً ودائماً لا ينضب معينه، ولأغناهم هذا عن مذلة السؤال والاستجداء على صفحات مجلتهم – برغم أنهم لا يعابون على ذلك فهي مذلة في الخير – فيستجاب لهم أحياناً ولا يستجاب لهم في أحايين كثيرة. على أنه يصعب على المرء الاعتقاد بأن هذا الطرح لم يطرأ على أذهان هؤلاء المسئولين وقت أن كانوا يبحثون عن موارد لتغطية نفقات ملجأهم الذي أنشأوه بشق الأنفس، فمما لا شك فيه أنهم لم يدعوا باباً فيه مظنة خيرٍ لهم إلا وطرقوه، وربما كان الاعتقاد الشائع بعدم شرعية نسب هؤلاء الأيتام المعالين في الملجأ عائقاً يحول دون شمول الملجأ بنظام الوقف الخيري من قبل الواقفين، وذلك في زمن كان المجتمع المصري فيه أشد التزاماً وأكثر محافظة.

كان واضحاً كل الوضوح أن الجمعية لم تترك مناسبة من المناسبات الدينية على مدار العام إلا واستغلتها في حث الموسرين والقادرين على التبرع للملجأ؛ في العام ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م)، انتهزت الجمعية فرصة قدوم مناسبة عيد الفطر المبارك، وجمعت تبرعات قيمتها خمسة وسبعون جنيهاً تقريباً، وضمت قائمة المتبرعين هذه المرة الأمير "عمر طوسون" للمرة الثالثة و"مصطفى رياض"(١٠٦)و"محمود فهمي"(١٠٧)رئيس الديوان الخديوي السابق و"حسين سري" (١٠٨) سكرتير مجلس شورى القوانين، كما يلاحظ على هذه القائمة أنها شملت أناساً من مناطق مختلفة من أنحاء القطر المصري، كما أنها ضمّت عدداً من الأجانب وغير المسلمين (١٠٩).

على أن الجمعية لم يتسنّ لها في عيد الأضحى من العام نفسه سوى

جمع نصف ما جُمع في عيد الفطر، وإن كان التنوع في قائمة المتبرعين هو السمة البارزة التي تجمع بين هاتين المناسبتين، فقد ضمت قائمة المتبرعين أناساً من كافة أنحاء القطر المصري، فضلاً عن بعض الموظفين المصريين بالسودان، كما تبرع عددٌ من سراة الإسكندرية بجملة من خراف الأضاحي (١١٠).

ولم يقتصر جهد الجمعية في استغلال المناسبات الدينية على جمع التبرعات فقط؛ وإنما كانت تعمل على ابتكار الوسائل والسبل التي تساعدها على زيادة غلتها من حصيلة التبرعات؛ ففي إحدى المرات ابتدعت الجمعية فكرة " بدل زيارة العيد " ومفادها أن يتبرع ذوو اليسار بمبلغ خمسين قرشاً لأطفال الملجأ العباسي كبدلٍ لزيادة العيد. وقد حصلت الجمعية من هذه الطريقة على مبالغ لا بأس بها (١١١). تلك الوسائل المبتكرة كانت تأتي أحياناً من جانب المتبرعين أنفسهم، فهذا أحد أثريا التجار بالثغر السكندري، يتعهد للملجأ بالقيام بنفقة يتيم من أيتام الملجأ العباسي المقدرة بمبلغ تسعين قرشاً شهرياً طيلة بقائه في الملجأ، فتشكره الجمعية على هذه المبرة السخية التي تصفها بأنها"الأولى في بابها" (١١٢).

وقبل أن تتسلم جمعية العروة الوثقى مهمة إدارة الملجأ، بعد أن انضمت إليها جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية بأيام معدودة كانت إدارة الملجأ قد وفقت في أن تحصل على تعهدٍ من ديوان عموم الأوقاف، بأن يقدم إلى الملجأ سنوياً إعانة ضخمة تقدر بألفي جنيهٍ لمساعدة القائمين بإدارته على تربية الأيتام، ولكن هذه المعونة جاءت مشروطة بموافقة إدارة الملجأ على ضم مأمور أوقاف الإسكندرية إلى مجلس إدارة الملجأ؛ ليكون عضواً مستديماً بصفته، ومشروطة كذلك بأن تقدم إدارة الملجأ حساباً سنوياً لديوان الأوقاف عن أوجه صرف المبلغ المذكور، وقد خطيت هذه الشروط بموافقة جمعية الملاجئ العباسية ومجلس إدارة الملجأ (١١٣) .

وأيضاً قبل أن تتنازل جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية عن إدارة الملجأ، سعت سعيها لدى محافظة الإسكندرية؛ من أجل

الحصول للملجأ على مقرٍ جديدٍ، بعد تشققات أصابت المبنى القديم جعلته معرضاً للانهيار، فطلبت من محافظة الثغر أن تبيعها قطعة أرضٍ مملوكة للحكومة، تبلغ مساحة سطحها ١٤٦٣٠ متراً، وتقع بجهة محرم بك، على أن يكون هذا البيع مقابل ثمن رمزي، انطلاقاً من الصفة الخيرية التي سوف تخصص من أجلها الأرض، حيث كان من المقرر أن يبنى على هذه الأرض ملجأ ومدرسة وورشة لتعليم أيتام الملجأ العباسي.

أحالت المحافظة المسألة إلى الحكومة المصرية لمناقشتها، وكان الأمل معقوداً على أن توافق هذه الأخيرة على التنازل عن الأرض للجمعية في مقابل ثمن زهيدٍ لا تعجز الجمعية عن توفيره، ولكن الجمعية فوجئت بأن الحكومة تفيدها بعدم إمكان إجابة هذا الطلب، وأنه غاية ما يتسنى لها تقديمه من المساعدة تعضيداً للمشروعات الخيرية هو بيع ما يلزم من الأراضي بنصف الثمن بعد إقامة الدليل الواضح على وجود ريعٍ ثابتٍ كافٍ لاستمرار كيان الملجأ والمدرسة والورشة وإدارتها بصفة منتظمة (١١٤)؛ إذ يبدو أن الحكومة كانت تخشى من أن يتعرض هذا المشروع الخيري لمصاعب مالية تتحمل هي كلفة إخراجه منها، بحيث لا تتاح لها الفرصة للتنصل أو التأخير في مدّ يد العون.

إزاء هذا الرفض الحكومي، اضطرت الجمعية لتغيير خططها إلى الاكتفاء بإنشاء مبنىً جديدٍ للملجأ بجوار القديم في مقره الأساسي، بدلاً من البحث عن مقرٍ جديد، وشرعت الجمعية بالفعل في بناء المبنى الذي كان مقرراً بمقتضاه أن تزيد السعة الإجمالية للملجأ من ستين إلى مائة وعشرين من الأيتام النزلاء. وبسبب أعمال الإنشاء الجارية لم يكن هناك مفرٌ أمام الجمعية سوى نقل أطفال الملجأ إلى إحدى المدارس التابعة لجمعية حمالي الجمرك، بحيث يتلقون تعليمهم فيها نهاراً ثم يبيتون عند أهاليهم ليلاً، إلى أن تم البناء الجديد ونقل إليه الأطفال النزلاء (١١٥).

تسلمت جمعية العروة الوثقى إدارة الملجأ العباسي وهو على هذه الحالة، فلم تقنع بهذا البناء الجديد، وعنّ لها أن تعيد بحث مسألة الأرض التي سبق أن رفضت الحكومة التنازل عنها للملجأ، إلا بعد سداد نصف

ثمنها وإيجاد مصدرٍ دائمٍ للإنفاق على المشروعات التي سوف تقام عليها، ولاسيما وقد استبان لجمعية العروة الوثقى حسن موقع هذه الأرض وصلاحيتها لإنشاء الملجأ والمدرسة والورشة عليها، فراحت الجمعية تطرق باب ديوان الأوقاف مذكرة إياه بأن الملجأ العباسي، هو أول ملجأ أسس في القطر المصري؛ ليأوي إليه يتامى المسلمين وفقراؤهم، ومخوفة له بأن هذا الملجأ ظل مشمولاً برعاية الخديوي منذ إنشائه حتى الآن، بل إن إنشاءه كان طبقاً لرغائبه كما تقول الجمعية، وعرضت الجمعية على ديوان الأوقاف ما رأته حلاً مناسباً لمشكلة توفير نصف ثمن الأرض، ويتلخص هذا الحل الذي عرضته الجمعية في أنه لما كان الديوان ملزماً بسداد معونة سنوية للملجأ، قدرها ألف جنيه حسب تعهده الصادر منه سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ) وهو العام الذي انتقلت فيه إدارة الملجأ من جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية إلى جمعية العروة الوثقى، ولما كان الديوان لم يف بتعهده هذا في العام ١٩٠٦م ولا في العام الذي بعده ١٩٠٧م بذا يكون الديوان مديناً للملجأ بأربعة آلاف جنيه. ولو تسنى للديوان أن يضيف إلى المبلغ المذكور مبلغاً آخر قدرته الجمعية بألف وستمائة جنيه، فيكون المجموع خمسة آلاف وستمائة جنيه، تدفع منه الجمعية مبلغ ثلاثة آلاف وستمائة جنيه تقريباً هو نصف ثمن الأرض المطلوب دفعه للحكومة في حين تنفق الباقي على متطلبات الملجأ العباسي(١١٦). وحيث إن هناك قناعة لدى الجميع بأن جمعية العروة الوثقى. هي أكثر أموالاً من سابقتها فلا مجال إذن للتشكيك في قدرة الجمعية على الوفاء بنفقات المنشآت المزمع إقامتها على الأرض المطلوبة ضماناً؛ لاستمرارها في أداء رسالتها في خدمة المجتمع السكندري.

كان ديوان الأوقاف سخياً مع جمعية العروة الوثقى فوفاها دينها مع الزيادة التي طلبتها، وبذا أمكن للجمعية أن تتسلم الأرض وأن تبدأ في بناء الملجأ الذي زادت طاقته الاستيعابية إلى ثلاثمائة وخمسين طفلاً يتيماً، وكذلك المدرسة والورشة لتعليم أيتام الملجأ، على أن يلحق من يشبّ منهم بمدرسة محمد علي الصناعية، التي كانت تخضع بدورها لإشراف الجمعية التي أصبح بإمكانها أن تضع ميزانية سنوية ثابتة للملجأ، قدرت

بأربعة آلاف ومائة وخمسة وعشرين جنيهاً (١١٧).

مما لا جدال فيه أن الملجأ العباسي قد استفاد كثيراً من تسلم جمعية العروة الوثقى زمام أموره وانضوائه تحت لوائها، ومما لا جدال فيه أيضاً أن الملجأ قد بلغ درجة كبيرة من كمال النظام وتقدم عملية التربية والتدريس العلمي والصناعي فيه، وهو تحت إدارة جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية؛ فقد اشتهر هذا الملجأ بحسن مصنوعاته حتى زاحمت بأكتافها مصنوعات غيره من المصانع الكبرى، وحتى نال بها الملجأ الميدالية الفضية عندما اشترك في المعرض الزراعي الذي أقامته الجمعية الزراعية في العام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م. ولما يمض على انضمامه لجمعية العروة الوثقى إلا عامٌ واحدٌ (١١٨)، ولا يعتقد أن المهارات الزراعية والصناعية التي اكتسبها أيتام الملجأ تنحصر في هذا العام؛ إذ لابد أنها ترجع في أصولها إلى خبرات متراكمة اكتسبها التلاميذ في أعوام مديدة خلت، ولكن شاءت الأقدار أن ينسب هذا النجاح لجمعية العروة الوثقى لا إلى جمعية مكارم الأخلاق.

و" العروة الوثقى " نفسها تعترف بهذا الفضل لسابقتها : " إننا قبل أن نقيم ملاجئ للأيتام واللقطاء فوق أرضٍ مصرية كانت توجد جمعية تسمى جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية في ثغر الإسكندرية شرعت في القيام بهذا العمل الخيري، وابتدأت به صغيراً ثم بانضمامها إلى العروة الوثقى أصبح كبيراً " (١١٩).

ومما هو جديدٌ بالذكر أن المجتمع في الثغر السكندري؛ كان يقدر قيمة هذا الملجأ حق قدره، ويدرك أهمية الدور الذي يقوم به في حماية الأيتام واللقطاء من الوقوع في براثن الإهمال والضياع والإجرام، وكثيراً ما حفلت صفحات مجلة الجمعية بتقاريظ، تصل إليها من القراء، تعبر عن إعجابهم بهذا المشروع الخيري الذي يعتبر من أهم منجزات جمعية مكارم الأخلاق على الإطلاق، ونقتبس من هذه قول أحد القراء: " لو قدر المصريون هذا الملجأ لنقشوا اسمه الكريم على صفحات صدورهم وتحت مواقع أبصارهم، ولمدّوا إليه أيديهم بالمال، وألسنتهم بالمدح والإطراء

آناء الليل وأطراف النهار "(١٢٠).

هـ- مجالات أخرى:

كما حرصت الجمعية على تقديم خدمات أخرى للمجتمع في مجالات مختلفة، بعضها بمقابل مادي يضاف إلى موارد الجمعية، ويستخدم في الإنفاق على مشروعاتها الخيرية؛ مثل إنشائها ورشة لتجليد الكتب وأخرى لعمل الأختام (١٢١). في حين كان بعضها الآخر يقصد منه المنفعة العامة وخدمة المسلمين بعيداً عن الربح والتجارة، مثلما أنشأت مكتبة لبيع الكتب وأدوات الكتابة والمدارس بأسعار مخفضة (١٢٢).

و- العلاقة بين جمعية مكارم الأخلاق وبين المؤسسات الأخرى الفاعلة في المجتمع السكندري:

سارت جمعية مكارم الأخلاق في طريقها على هذا النحو من المثابرة على أداء الأعمال الخيرية العظيمة التي تريد بها نفع الإسلام وخدمة المسلمين، وجمع كلمتهم وتأليف قلوبهم، تتغلب على ما يصادفها من العقبات تارة وتصادرها العراقيل تارة أخرى، حتى قيض الله لها خير من يشد أزرها ويقوي ساعدها، ممثلاً في مشروع إحياء معاهد العلم بالإسكندرية ، كانت قد صدرت إرادة كريمة من الخديوي "عباس حلمي الثاني" بإلحاق التعليم الديني في ثغر الإسكندرية بنظيره في الأزهر الشريف، وباتت مشيخة علماء الإسكندرية تابعة في إدارتها للجامع الأزهر، ورأت جمعية مكارم الأخلاق أن المصلحة تقتضي أن يكون هناك تعاون تامٌ بين الجمعية ومشيخة الإسكندرية، مادامت الغاية من عمل المؤسستين واحدة؛ وهي خدمة الأمة والدين بتفانٍ وإخلاصٍ، يتحقق به مبدأ التكافل والتضامن الذي هو أساس الحياة الاجتماعية في الإسلام.

ومنذ اللحظة الأولى لظهور هذا المشروع والجمعية تتلقاه بالترحيب الكامل على صفحات مجلتها، وتوضح للناس الفائدة التي تعود على الحياة العلمية في المدينة من ورائه، وكيف أنه سوف يسهم في رقي المجتمع السكندري من الناحيتين الثقافية والأخلاقية، وأنه سيقف نداً

للتعليم الحكومي والأجنبي، الذي كان لا يقيم للثقافة الدينية كبير وزن.

وبمضي الوقت تحولت مجلة الجمعية إلى القيام بدور المتحدث بلسان حال مشيخة علماء الإسكندرية في كل ما تقوم به من الأعمال، ومن ناحيتها كانت المشيخة ترتاح لمجلة الجمعية تمام الارتياح، وتجد في صفحاتها مجالاً مناسباً لنشر قرارات المشيخة وإجراءاتها وأعمالها ، فتكون المجلة بذلك هي الواسطة بين المشيخة والمجتمع، وبذلك: "يتجلى للملأ معنى اتحاد المبدأين وتوافق الغايتين ، وليسيرا بجانب بعضهما بما تقتضيه المصلحة العامة التي هي شعار الفريقين " (١٢٣).

وكان من مظاهر ذلك أن المسئولين عن إدارة المجلة حرصوا على أن يُضَمنُّوا أعدادها التقارير السنوية، التي كانت تصدرها مشيخة علماء الإسكندرية عن أعمالها في السنوات الدراسية المختلفة، برغم ما في بعض هذه التقارير من طولٍ مفرط، ولكنهم كانوا يؤكدون أن حرصهم على نشر هذه التقارير راجعٌ لما يرون فيها من الفائدة الكبرى للقراء، فنشروا التقرير الأول منها عن العام ١٣٢١هـ في عدد " ذو القعدة " ١٣٢٢هـ، ونشروا التقرير الثاني الذي استغرق – لطوله – أعداد المجلة في شهور: رمضان، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة من العام ١٣٢٣هـ كما نشروا ملخص التقرير الرابع في عدد رمضان ١٣٢٥هـ.

وفي السنة الرابعة من عمر الجمعية، كانت مشيخة علماء الإسكندرية ممثلة في مجلس إدارة الجمعية، في شخص الشيخ "محمد البوريني" الذي كان مدرساً بمشيخة الإسكندرية (١٢٤). حقاً إن وجود الشيخ في مجلس الإدارة وظفره بعضوية المجلس، إنما كان بشخصه لا بصفته مدرساً في المشيخة، إلا إن وجوده على هذا النحو قد أوجد حلقة جديدة للاتصال بين الجمعية والمشيخة.

ومثلما فتحت الجمعية صفحات مجلتها أمام مشيخة علماء الإسكندرية وطلابها، فقد جعلتها متاحة كذلك أمام تلاميذ مدارس جمعية العروة الوثقى لكتابة بعض المواد العلمية فيها بطريق السؤال

والجواب، وشجعتهم على ذلك بأن جعلت لصاحب الإجابة الصحيحة جائزة أدبية متى كان من تلاميذ المدارس المذكورة (١٢٥).

وقد تجلى التعاون بين المؤسسات الثلاثة السابقة وجمعية مكارم الأخلاق (مشيخة علماء الإسكندرية) جمعية العروة الوثقى، فيما يسمى بمشروع إصلاح الكتاتيب الإسلامية، وكان الشيخ "محمد شاكر" قد وضع نظاماً شاملاً لإصلاح هذه الكتاتيب، وطلب من الأزهر السماح له بتطبيق هذا النظام في المدارس الابتدائية التابعة لمشيخة الإسكندرية، وتمنّى على جمعيتي مكارم الأخلاق والعروة الوثقى أن تحذوا حذو المشيخة في الالتزام بهذا النظام الجديد: الأولى في مدارسها وملجئها، والثانية في المدارس الخاضعة لإدارتها.

كان خطاب الشيخ "محمد شاكر" شيخ مشيخة علماء الإسكندرية إلى رئيس الملجأ العباسي، بخصوص هذا الموضوع انعكاساً لنظرة الطبقة الواعية في المجتمع السكندري وغيره إلى قيمة هذا الملجأ، والفائدة التي يؤديها إلى فئة من فئات هذا المجتمع وهم الأيتام، فهو يشكر للرجل رقة شعوره وميله إلى مساعدة الضعفاء والرأفة بالمساكين، واهتمامه الفائق بالملجأ العباسي، الذي أسس لتربية الأطفال اليتامى من فقراء المسلمين، الذين لا ملجأ لهم إلا الله تعالى، وما يجريه على أيدي عباده المحسنين من الصدقات، ثم تربيتهم تربية دينية، عسى أن يكون منهم الرجل الصالح والعالم العامل والمرشد الكامل والمربي النافع. ويقترح الشيخ إنشاء مكتب لهؤلاء اليتامى يتعلمون فيه القراءة والكتابة ومبادئ العلوم العربية والرياضية وتهذيب الأخلاق وعقائد الإسلام وأركان الدين من الصلاة والزكاة والحج والصيام، ويحفظون فيه القرآن الكريم حفظاً جيداً مع تعلم أحكام التجويد وآداب التلاوة، حتى إذا تخرجوا في هذا المكتب حافظين لكتاب الله وكان فيهم من يصلح لتلقي العلوم الشرعية في المعاهد الإسلامية ينقل إليها لإتمام الدراسة والحصول على شهادة "العالمية ".

لم يكن بإمكان إدارة الملجأ العباسي أن ترفض هذا الاقتراح البناء،

الذي وصفته بأنه قد "صادف اتحاداً في الرأي واتفاقاً لما في العزم "(١٢٦). فرحبت به ترحيباً كبيراً، وأبدت استعدادها لتنفيذه.

هذا مثالٌ للتعاون والتعاضد بين هيئات ثلاث، كانت تجمع بينها وحدة الهدف وإن كانت مختلفة في طبيعتها، فاثنتان منهما أهليتان والثالثة حكومية، ومع ذلك أمكن التقاؤها جميعاً في عرضٌ واحد وهو الارتقاء بالمجتمع المسلم.

خاتمة

بهذا العرض نكون قد انتهينا من تناول تاريخ هذه المؤسسة الخيرية، ودورها في خدمة المجتمع الذي تعيش فيه. وقد خَلُصْنَا من خلال هذه الدراسة إلى تأكيد عدة حقائق نودّ أن نوجزها فيما يأتي:

١- مما لا شك فيه أن تعاظم دور العمل الخيري الأهلي في مجتمع من المجتمعات، لهو دليلٌ ملموسٌ على رقي هذا المجتمع وتقدمه؛ فالمجتمعات المتمدينة هي التي تتخذ من التكافل الاجتماعي بين أفرادها أساساً للحياة الكريمة، وطريقاً موصلاً إلى تحقيق مبدأ السلم المجتمعي، الذي هو شعار الحياة التضامنية على أساس الجامعة العامة.

٢- ومما لا شك فيه أيضاً أن الاهتمام بعمل الخير والسعي في تحصيله، إنما ينبع من عاطفة دينية فياضة، فقد حرصت تعاليم الدين الإسلامي الحنيف المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، على إذكاء روح البذل والعطاء في نفوس المسلمين تقرباً إلى الله تعالى.

٣- تعد جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية بالإسكندرية مجهولة لدى الكثيرين، حتى لأولئك المهتمين بالتأريخ للأوضاع الاجتماعية في مصر بما في ذلك العمل الخيري فيها؛ فهم لا يشيرون في أبحاثهم ومؤلفاتهم إلا إلى الجمعية الأصلية التي أسست في القاهرة في العام ١٣١٧هـ(١٨٩٩)، ثم أعيد إحياؤها مرة أخرى في العام ١٣٤٣هـ(١٩٢٥). في حين لم يشر منهم أحدٌ من قريب أو بعيد إلى فروع هذه الجمعية التي أسستها في المدن الأخرى المصرية، برغم أنه كان لبعض هذه الفروع دورٌ لا يمكن

إغفاله في تطور العمل الخيري الاجتماعي في مصر.

٤- برغم قصر عمر هذه الجمعية والذي لم يتعدّ السنوات الست، إلا أنها قدمت للمجتمع السكندري خدمات جليلة في المجالات التي سبق أن ذكرناها، وقابل السكندريون جميلها هذا بالعرفان والتقدير، فذكروا لها فضلها، واعترفوا بجهودها وقدموا لها كل مساعدة قولية وفعلية، ولم يكن التأييد لهذه الجمعية مقصوراً على فئة بعينها من فئات المجتمع، فقد أعانها مصريون وأجانب، مسلمون ومسيحيون، وكان الخديوي عباس حلمي الثاني أكبر الداعمين لها .

٥- أصدرت الجمعية مجلة كانت من أثرى الدوريات المصرية في وقتها في مادتها العلمية، وعلى الرغم أن الغرض الأصلي من إصدارها هو الوعظ والإرشاد إلا أن طبيعتها لم تكن دينية محضة، فقد اهتمت كذلك بقضايا الأدب والفكر والتاريخ، وحققت رواجاً وانتشاراً واسعين، وكتب لها البقاء والاستمرار في الوقت الذي اندثرت فيه مجلات أخرى أوفر موارد وأكثر عراقة. والحق أن الدوريات المصرية – عموماً – في هذه الفترة تعد كنزاً ثميناً ومصدراً هاماً لدراسة مختلف الموضوعات في كل علمٍ وفن، ولذلك ينبغي على الباحثين في مختلف فنون المعرفة أن يكثروا من الرجوع إليها والاعتماد عليها، وأن يتحملوا مشقة النظر فيها، فإمكان هذه الدوريات أن تقدم معلومات قيمة يتعذر وجود مثلها في المصادر إن لم يكن في الوثائق في بعض الأحيان.

٦- يعد الملجأ العباسي أفضل منجزات هذه الجمعية، بل إن الأساس الذي استندت إليه الجمعية في إنشاء هذا الملجأ؛ وهو الرغبة في انتزاع زمام المبادرة من الأجانب، الذين دأبوا على إنشاء ملاجئ الأيتام؛ رغبة منهم في استغلال هؤلاء الأيتام وتوجيههم وجهة فكرية معينة هو فكرة ممتازة، ففي الإمكان الآن تربيتهم تربية دينية صحيحة بما يعود بالنفع على المجتمع، وبما يحول دون وقوعهم فريسة للتشرد والإهمال أو لسطوة الجمعيات الأجنبية.

٧- لا يسع المرء إلا أن يبدي إعجابه بذلك التعاون الوثيق – بدلاً

من التنافس – بين هيئات مختلفة ذات طابع إسلامي وتعمل كلها في خدمة مجتمع واحد، فقد استطاعت جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية وجمعية العروة الوثقى ومشيخة علماء الإسكندرية أن تقدم مثالاً يحتذى به في هذا المجال، فاتفقت على العمل معاً من أجل المصلحة المشتركة مادامت الغاية المقصودة في النهاية هي خدمة الإسلام والمسلمين.

٨- وأخيراً فإن نجاح تجربة جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية وغيرها من الجمعيات الخيرية، يدعو الباحث إلى أن ينصح بضرورة العمل على توسيع قاعدة العمل الخيري في المجتمع، فبإمكان الجمعيات الخيرية الأهلية أن تسد جزءاً كبيراً من الفراغ الذي تخلفه الحكومات المتعاقبة في معالجة المشاكل المزمنة التي تعانيها المجتمعات الإسلامية من الفقر والجهل والمرض، فلابدّ من إطلاق الحرية كاملة لإنشاء هذه الجمعيات، ومنحها مساحة واسعة للعمل والتصرف في أوساط الطبقات الفقيرة والمحتاجة، بدلاً من تضييق الخناق عليها لحججٍ وذرائع هي أبعد ما تكون عم مراعاة المصلحة العامة.

رب سدِّد الخطى وبارك المسعى

ملحق رقم (١)

قانون ملجأ الأيتام الذي أنشأته جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية [١٣٧].

* أولاً : شروط القبول.

المادة الأولى

تنشئ جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية بإسكندرية ملجأ في هذا الثغر لأيتام المسلمين الفقراء كافة.

المادة الثانية

يقبل في هذا الملجأ كل من فقد أبويه أو أحدهما أو كان من عائلة فقيرة معيلة.

المادة الثالثة

يكفي لقبول الطالب أن يستحضر وليِّه شهادة رسمية تدل على استحقاقه في الملجأ.

المادة الرابعة

لا يقبل طالبٌ عمره أقل من خمس سنوات ولا أكثر من أربع عشر سنة.

المادة الخامسة

لا يخرجُ طالبٌ من الملجأ قبل بلوغه الثمانية عشرة سنة إلا لأسباب تحكم فيها الجمعية ، فإذا خرج لدى بلوغه هذا السن يُصْرَف إليه ما اكتسبه من شغله ليكون له رأس مالٍ يستعين به وبصنعته على ولوج ميدان الحياة.

المادة السادسة

لا يجوز لأحد حتى ولو أقرب أقارب الطالب سحبه من الملجأ إلا إذا وافقت الجمعية على الأسباب كما مرّ ، وإلا فعلى من يلح في ذلك أن

يدفع عن كل سنة أقامها الطالب في الملجأ خمسة عشر جنيهاً مصرياً.

المادة السابعة

يجب على كل طالب أن يخضع لنظامات الملجأ خضوعاً تاماً وأن يقبل وليه شروط الملجأ.

* ثانياً : إدارة الملجأ والضباط والأساتذة والصنايعية.

المادة الثامنة

يعين للملجأ مديرٌ لإدارة ماليته ودروسه وأشغاله الصناعية تحت مراقبة لجنة مدارس الجمعية واختصاصات هذا المدير معينة في اللائحة الداخلية للملجأ.

المادة التاسعة

يُعَيّن لمساعدة المدير ضابطٌ أو أكثر لمراقبة فرق الملجأ في أوقات الفسح بالكيفية التي توضحها اللائحة الداخلية له.

المادة العاشرة

يُعَيّن للملجأ معلمون لكل علمٍ بقدر الحاجة ، مسئولون أمام المدير ، توضح واجباتهم اللائحة الداخلية له.

المادة الحادية عشر

يُعَيّن لكل صنعة وفن معلّمٌ تحت إدارة المدير توضح واجباتهم اللائحة الداخلية للملجأ.

* ثالثاً: العلوم والصنائع والفنون التي تعلم في الملجأ.

المادة الثانية عشر

تُعَلّم في الملجأ العلوم الآتية: قرآن، ديانة، لغة عربية، لغة أجنبية، حساب، حساب تجاري، مبادئ الهندسة والجبر، جغرافيا، تاريخ، علم الاقتصاد.

المادة الثالثة عشر

تُعَلّم في الملجأ الصنائع الآتية: النجارة، الحدادة، الخياطة، الحياكة ، الطباخة، السكافة، السمكرة، التجليد، الطباعة، الزراعة بفروعها.

وتعلم فيه الفنون الآتية: السباحة، المسابقة، الجمباز، الرسم، مبادئ الطب، الصيدلة، واللائحة الداخلية للملجأ تبين الترتيب اللازم لأوقات العلوم والصنائع والفنون وما يتبعها.

* رابعاً: أحوال عمومية.

المادة الرابعة عشرة

تلبس التلامذة ملابس مخصوصة توضح نظامها اللائحة الداخلية للملجأ.

المادة الخامسة عشرة

يأكل التلامذة على خيوانات ([١٢٨]) ثلاث مرات كل يوم، توضح نظام ذلك اللائحة الداخلية للملجأ.

المادة السادسة عشرة

ينام كل تلميذ على سرير توضح اللائحة الداخلية للملجأ صفته وفرشه، وكذلك توضح أوقات النوم ونظافة محلاته، وتوضح قيام التلامذة من النوم، ونظافتهم، وصلاتهم، وشغلهم، والبطالات السنوية ونحوها، وجزاءاتهم ومكافآتهم .

المادة السابعة عشرة

مباشرة هذا الملجأ تكون من أعمال لجنة مدارس الجمعية.

ملحق رقم (٢)

قصيدة للشيخ إبراهيم السيد يؤرخ فيها لافتتاح الملجأ العباسي [١٢٩] .

على البرّ والتقوى التعاون ... وفينا به الرحمن وصّى وأحمد
فقال تعالى في الكتاب ... على البرّ والتقوى أذلك
فيا سادتي إن اليتامى وحقكم ... لأَوْلَى بهذا البرّ واليتم يشهد
وعارٌ علينا أن تكون لغيرنا ... ملاجئ في أوطاننا تتعدد
وليس لنا في قطرنا غير ... وفي مثل هذا لا تُمَدُ لنا يَدُ
وكم من لقيط أرضعوه ... على أننا يا رب إياك نعبد
ألا فأكرموهم للنبي كرامة ... ولا تقهَروا بل ساعدوهم
ورِقّوا لهم وارثواْ لحال ... فمن حال أيتامٍ تُفتّتُ أكبد
مساكين لا مأوى ولا حرفة ... وعيشتهم في الناس أشقى
حفاة عراة جائعون وقلّما ... يلاقون ذا ثوب يقول به
أفي مثل هذا الوقت يُهمل ... وهذا زمان للمكارم مورد
مكارم أخلاق على البر أسست ... وفي الخير مسعاها يُجَل
وأنعم بها جمعية فاض فضلها ... وصار لها الذكر الجميل
بمشروعها حازت ثناء معطراً ... وذلك مشروع أجلٌ وأوحد
كرامٌ به جاءواْ فنشكر ... ونثني على إحساسهم ونردد
وهل يحرمون الجود من لا ... وهذا زمان للمكارم مورد
وهل يحرمون الجود من لا ... وعباس منه الجدا يتجدّد

رعـــى الله مولانـــا الخـــديوي لهم ملجأ في الثغر جاء يشـــيِّد

ويحفظه ربي ولا زال ملجـأ لكل رعايـاه العزيـز الممجّـد

وينصره مولى الموالي لأنـه كريمٌ له أصل كريمٌ ومحتد

أتى لافتتاحٍ قلت فيه مؤرخـاً " وجـود خـديوينا بـه الفـتح

المصادر والمراجع:

أولاً : الوثائق:

الوثائق المحفوظة بدار الوثائق القومية المصرية:

* وثائق عابدين ، كود أرشيفي ٠٠٤٠٠١- ٠٠٦٩ أوراق خاصة بجمعية العروة الوثقى الإسلامية .

* وثائق مجلس النظار ، كود أرشيفي ٠٠٨٧٦٤ – ٠٠٧٥ تقرير بخصوص مدرسة محمد علي الصناعية وتطور التعليم الصناعي والمهني بعد إنشائها ، والملجأ العباسي وبعض الجمعيات التابعة لجمعية العروة الوثقى.

ثانياً : المصادر والمراجع

* آرثر جولد شميت (الابن) .

١- " قاموس تراجم مصر الحديثة " ترجمة وتحقيق: عبد الوهاب بكر، طبعة: المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة ، عدد رقم (٥٢١) القاهرة ٢٠٠٣م.

* إسماعيل بن محمد أمين البغدادي:

٢- " إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون " طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

* بطرس البستاني :

٣- " دائرة المعارف " طبعة: دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

* جمعة مكارم الخلاق الإسلامية .

٤- " قانون جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية بالقاهرة " مطبعة: المنار ، القاهرة، بدون تاريخ.

* خير الدين الزركلي:

٥- " الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين " طبعة: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، بيروت ٢٠٠٢م.

* زكي محمد مجاهد:

٦- " الأعلام الشرقية في المائة الرابعة الهجرية " طبعة دار الغرب الإسلامية، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٤م.

* زين العابدين شمس الدين نجم:

٧- " معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية " بدون ذكر دار النشر ، القاهرة ٢٠٠٦م.

* عزيز زند:

٨- " القول الحقيق في رثاء الخديو توفيق " مطبعة المحروسة، القاهرة ١٩٨٢م

* على مبارك:

٩- " الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة " طبعة: دار الكتب والوثائق القومية، (مصورة عن طبعة بولاق) القاهرة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

* عمر رضا كحاله :

١٠ " معجم المؤلفين " مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

* فتحي أحمد شلبي:

١١- " جمعية المساعي المشكورة ودورها في مجتمع المنوفية ١٣٧٢ – ١٤٢٣هـ / ١٩٥٢ – ٢٠٠٢م " بدون دار نشر، القاهرة ٢٠٠٢م.

* فيليب يوسف جلاد:

١٢ " قاموس الإدارة والقضا " طبعة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

* لويس اليسوعي:

١٣- " المنجد في اللغة " طبعة : دار الشرق، الطبعة السابعة والعشرون، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

* مجمع اللغة العربية:

١٤- " المعجم الوسيط" طبعة: دار المعارف ، القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

* محمد حسني العامري:

١٥- " نزهة الألباب في تاريخ مصر وشعراء العصر ومراسلات الأحباب " مطبعة الهلال ، القاهرة ١٣١٤هـ .

* محمد علي الفاروقي التهانوي :

١٦- " كشاف اصطلاحات الفنون " تحقيق : لطفي عبد البديع ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م .

* محمود نصار:

١٧- " الإحسان العام في مصر " طبعة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م.

* مركز البحوث العربية:

١٨- " الجمعيات الأهلية في مصر، مجموعة مقالات " طبعة: دار الأمين، القاهرة ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

* يوسف إليان سركيس:

١٩- " معجم المطبوعات العربية والمعربة " مطبعة سركيس، القاهرة ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م .

ثالثاً الدوريات :

* مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية "

العدد الثالث من السنة الثانية ١٥ صفر ١٣٢٠هـ / ٢٤ مايو ١٩٠٢م .

العدد السادس من السنة السابقة ١٥ ربيع الأول ١٣٢٠هـ / ٢٢ يونيو ١٩٠٢م .

العدد الثامن من السنة الثانية ١٥ ربيع الثاني ١٣٢٠هـ / ٢٢ يوليو ١٩٠٢م .

العدد العاشر من السنة الثانية ١٥ جماد الأول ١٣٢٠هـ / ٢٠ أغسطس ١٩٠٢م .

العدد الرابع عشر من السنة الثانية ١٥ رجب ١٣٢٠هـ / ١٨ أكتوبر ١٩٠٢م .

العدد السادس عشر من السنة الثانية ١٥ شعبان ١٣٢٠هـ/ ١٧ نوفمبر ١٩٠٢م .

العدد التاسع عشر من السنة الثانية غرة شوال ١٣٢٠هـ / أول يناير ١٩٠٣م .

العدد العشرون من السنة الثانية ١٥ ذو القعدة ١٣٢٠هـ / ١٥ يناير ١٩٠٣م .

العدد الثاني والعشرون من السنة الثانية ١٥ ذو القعدة ١٣٢٠هـ/ ١٣ فبراير ١٩٠٣م

العدد الرابع والعشرون من السنة الثانية ١٥ ذو الحجة ١٣٢٠هـ / ١٥ مارس ١٩٠٣م

العدد الأول من السنة الثالثة محرم ١٣٢١هـ / مارس ١٩٠٣م .

العدد الثاني من السنة الثالثة صفر ١٣٢١هـ / أبريل ١٩٠٣م .

العدد الثالث من السنة الثالثة ربيع الأول ١٣٢١هـ / مايو ١٩٠٣م .

العدد الرابع من السنة الثالثة ربيع الثاني ١٣٢١هـ / يونيو ١٩٠٣م .

العدد الخامس من السنة الثالثة جماد الأول ١٣٢١هـ / يوليو ١٩٠٣م .

العدد السادس من السنة الثالثة جماد الثاني ١٣٢١هـ / أغسطس ١٩٠٣م .

العدد الثامن من السنة الثالثة شعبان ١٣٢١هـ / أكتوبر ١٩٠٣م .

العدد العاشر من السنة الثالثة شوال ١٣٢١هـ / ديسمبر ١٩٠٣م .

العدد الثاني عشر من السنة الثالثة ذو الحجة ١٣٢١هـ / فبراير ١٩٠٤م .

العدد الرابع من السنة الرابعة ربيع الثاني ١٣٢٢هـ / يونيو ١٩٠٤م .

العدد الخامس من السنة الرابعة جماد الأول ١٣٢٢هـ / يوليو ١٩٠٤م .

العدد السادس من السنة الرابعة جماد الثاني ١٣٢٢هـ / أغسطس ١٩٠٤م .

العدد السابع من السنة الرابعة رجب ١٣٢٢هـ / سبتمبر ١٩٠٤م .

العدد الثامن من السنة الرابعة شعبان ١٣٢٢هـ / أكتوبر ١٩٠٤م .

العدد التاسع من السنة الرابعة رمضان ١٣٢٢هـ / نوفمبر ١٩٠٤م .

العدد العاشر من السنة الرابعة شوال ١٣٢٢هـ / ديسمبر ١٩٠٤م .

العدد الثاني عشر من السنة الرابعة ذو الحجة ١٣٢٢هـ / فبراير ١٩٠٥م .

العدد الأول من السنة الخامسة محرم ١٣٢٣هـ / مارس ١٩٠٥م .

العدد الثاني من السنة الخامسة صفر ١٣٢٣هـ / أبريل ١٩٠٥م .

العدد الثالث من السنة الخامسة ربيع الأول ١٣٢٣هـ / مايو ١٩٠٥م .

العدد الثامن من السنة الخامسة شعبان ١٣٢٣هـ / أكتوبر ١٩٠٥م .

العدد السابع من السنة السادسة رجب ١٣٢٤هـ / أغسطس ١٩٠٦م .

*** مجلة جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية " .**

العدد الأول من السنة السابعة محرم ١٣٢٥هـ / فبراير ١٩٠٧م.

العدد الرابع من السنة السابعة ربيع الثاني ١٣٢٥هـ / مايو ١٩٠٧م .

العدد الثامن من السنة السابعة شعبان ١٣٢٥هـ / سبتمبر ١٩٠٧م .

العدد الثاني عشر من السنة السابعة ذو الحجة ١٣٢٥هـ / يناير ١٩٠٨م .

العدد الأول من السنة الثانية عشرة محرم ١٣٣٠هـ / ديسمبر ١٩١١م .

العدد الثامن من السنة الثانية عشرة شعبان ١٣٣٠هـ / يوليو ١٩١١م .

العدد السابع من السنة الثالثة عشرة رجب ١٣٣١هـ / يونيو ١٩١٢م .

العدد الثامن من السنة الثالثة عشرة شعبان ١٣٣١هـ / يوليو ١٩١٢م .

* مجلة " المنار " .

عدد ١٩ رمضان ١٣١٧هـ / ٢ يناير ١٩٠٠م .

عدد غرة رجب ١٣٢٠هـ / ٣ أكتوبر ١٩٠٢م .

عدد ١٦ ربيع الثاني ١٣٢٣هـ / ١٩ يونيو ١٩٠٥م .

عدد غرة صفر ١٣٢٤هـ / ٢٦ مارس ١٩٠٦م .

عدد جماد الأول ١٣٥١هـ / سبتمبر ١٩٣٢م .

* موقع معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين :

www.aloajam.org

الهوامش :

(١) من الثابت تاريخياً أسبقية نشوء الجمعيات الثقافية والعلمية؛ بالنسبة لغيرها من الجمعيات وبصفة خاصة الجمعيات الدينية ، فقد تأسست أول جمعية أهلية في مصر في العام ١٨٢١م (١٢٣٦هـ)، وهي الجمعية اليونانية بالإسكندرية، ثم تأسست جمعية معهد مصر للبحث في تاريخ الحضارة المصرية في العام ١٨٥٩م (١٢٧٥هـ)، ثم جمعية المعارف والتأليف ١٨٦٨م (١٢٨٥هـ)، ثم الجمعية الجغرافية ١٨٧٥م (١٢٩٢هـ).
انظر: حسين كشك: " الجمعيات الأهلية الإسلامية في الدراسات السابقة، عرض نقدي " بحث منشور ضمن كتاب " الجمعيات الأهلية الإسلامية في مصر، مجموعة مقالات " طبعة: دار الأمين، القاهرة ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م. ص٢٠.

(٢) من بين هذه الجمعيات:جمعية الدعوة والإرشاد ١٨٩٣م (١٣١٠هـ) وجمعية العروة والوثقى ١٨٩٢م (١٣٠٩هـ)، وجمعية المساعي المشكورة في العام نفسه، وقد كان على رأس الجمعيتين الأوليين محمد عبده ومحمد رشيد رضا، وهما دعّمَا أيضاً جهود إقامة الجمعية الثالثة.

(٣) ومن بين تلك الجمعيات المسيحية: جمعية التوفيق القبطية ١٨٩١م (١٣٠٩هـ) والجمعية الخيرية القبطية ١٨٨٦م (١٣٠٣هـ) وجمعية خلاص النفوس.

(٤) حسين كشك: مرجع سابق ذكره ص: ٢٠ .

(٥) نشرت هذه الدراسة في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، عدد رقم (٣٨) لسنوات ١٩٩١- ١٩٩٥م، ص ٤١٧ -٤٥٦ بعنوان" الجمعية الخيرية الإسلامية منذ تأسيسها حتى الحرب العالمية الثانية من ١٨٩٢ – ١٩٣٩م"، وهي من إعداد الباحث عبد السلام عبد الحليم الالعامر.

(٦) هذه الدراسة أعدها الدكتور: فتحي أحمد شلبي، وهي بعنوان: " جمعية المساعي المشكورة ودورها في مجتمع المنوفية ١٣٧٢هـ - ١٤٢٣هـ / ١٩٥٢م – ٢٠٠٢م " وهي لا تتناول من تاريخ هذه الجمعية المديد – كما ترى – سوى الفترة التي تخلت فيها الجمعية عن دورها التعليمي لصالح المدارس الحكومية بعد أن قنّنت الحكومة نشاط هذه الجمعيات الأهلية، وقصرت نشاطها على ميدان العمل الاجتماعي، وقد نشرت هذه الدراسة في العام ٢٠٠٢م.

(٧) هو الشيخ محمد زكي الدين بن محمد سند بن إبراهيم سند، ولد في مشتول السوق بمحافظة الشرقية العام ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م لأب كان على حظ موفورٍ من العلم على ما يبدو ، فأحد مترجميه يقول عنه إنه " ابن العالم العلامة والفاضل الفهامة الشيخ محمد سند " تعلم صاحبنا في كتاب قريته فحفظ قدراً من القرآن الكريم ، وتلقى مبادئ القراءة والكتابة والحساب، ثم التحق بالأزهر فتدرج في مراحله حتى نال شهادة العالمية العام ١٨٩٠م، عمل بالإرشاد والوعظ الديني والإمامة في مساجد القاهرة، كما عمل مدرساً لعلوم الإنشاء بمدرسة الفجالة، أسس جمعية " مكارم الأخلاق الإسلامية " بالقاهرة وتولى رئاستها ، ولم يقتصر على عضويتها فقط كما يقول مترجموه، له كتاب يسمى: " تنوير الأذهان في الرد على مدعي تحريف القرآن " نشر العام ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م، ونظم شعراً استحق به أن يدرج في معجم شعراء القرن التاسع عشر، توفى بالقاهرة في العام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م كما يقول واضع المعجم المذكور وهو في ذلك مخطئ، ذلك أن مجلة مكارم الأخلاق الإسلامية " التي كان يصدرها فرع جمعيته بالإسكندرية نشرت نبأ وفاته في عددها الصادر في شهر ربيع الثاني ١٣٢٥هـ / مايو ١٩٠٧م [العدد الرابع من السنة السابعة] وقالت: إنه توفى في العشرين منه حالة كونه " حديث السن لم يناهز الثلاثين من عمره " وبفرض صحة تاريخ مولده الذي أثبته صاحب المعجم المذكور وأعني به في العام ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م تكون المجلة على خطأ أيضاً فيما يتعلق بعدم مناهزة الشيخ للثلاثين من العمر كما تدعي.
انظر في ترجمته: عزيز زند : " القول الحقيق في رثاء وتاريخ الخديوي المغفور له محمد توفيق " مطبعة المحروسة، القاهرة ١٣٠٩هـ / ١٨٩٢م. ص: ١٦٨ – ١٧٠ ، وانظر كذلك: محمد حسن الالالعامري: " نزهة الألباب في

تاريخ مصر وشعراء العصر ومراسلات الأحباب " مطبعة الهلال بالفجالة ١٣١٤هـ / ١٨٩٥م ص١٨٣ ، ١٨٤، وانظر أيضاً: مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري: " معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين " من موقعه على الشبكة الدولية للمعلومات ، www almoa. jam .org

(٨) " قانون جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية بالقاهرة " مطبعة المنار، بدون تاريخ: ص: ١

(٩) مجلة " جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثامن من السنة الثانية (١٥ ربيع الثاني ١٣٢٠هـ / ٢٢ يوليو ١٩٠٢م).

(١٠) " قانون جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية " مادة (٢) ص: ٧.

(١١) المصدر السابق، مادة (٣) نفس الصفحة.

(١٢) المصدر السابق، مادة (٤) ص: ١.

(١٣) المصدر السابق، مادة (١٢) ص: ٤.

(١٤) المصدر السابق، مادة (٦٦) ص: ١٥.

(١٥) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثامن من السنة الثانية، ١٥ ربيع الثاني ١٣٢٠هـ / ٢٢ يوليو ١٩٠٢م، والجدير بالذكر أنه كان هناك فرع آخر للجمعية في مدينة الزقازيق وكان لا يقل أهمية عن فرع الإسكندرية فقد أنشأ مدرسة وأعال بعض الفقراء، ولكنه لم يعمر طويلاً فقد انحلّ في النصف الثاني من العام ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ) وبقي فرع الإسكندرية يعمل وحده في هذا المجال، انظر: مجلة " المنار " عدد غرة رجب ١٣٢٠هـ / أكتوبر ١٩٠٢م .

(١٦) أعيد تأسيس جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية بالقاهرة مرة أخرى في العام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م.

(١٧) مجلة مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثالث من السنة الثالثة، ربيع الأول ١٣٢١هـ / مايو ١٩٠٣م.

(١٨) مجلة مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثامن من السنة الخامسة، شعبان ١٣٢٣هـ / أكتوبر ١٩٠٥م .

(١٩) ولد محمود صدقي في العام ١٢٦٧هـ / ١٨٥١م بناحية بيلا التي كانت تتبع وقتها مديرية الغربية ثم انتقل منها للقاهرة، تعلم بمدرسة الطب وأرسل في بعثة إلى باريس ولما عاد عين مدرساً بمدرسة الطب، ثم عين وكيلاً لمصلحة الصحة الالالعامة، فمحافظاً للإسكندرية ١٨٩٩ – ١٩٠٦م فمحافظاً للقاهرة ١٩٠٦ – ١٩٠٩م توفى بالإسكندرية ١٣٤٤هـ / ١٩٥١م .

انظر ترجمة له في : إسماعيل محمد أمين البغدادي: " إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون " طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ جـ٣ ص: ٦٠، وانظر كذلك: خير الدين الزركلي: " الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين " طبعة: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، بيروت ٢٠٠٢م جـ٧ ص: ١٧٣ .

(٢٠) خليل حمدي حماده كان أميناً لعموم الجمارك المصرية، وهو من أصل شامي فصاحب " المنار " يقول في معرض الحديث عنه: "خليل حمدي باشا حماده البيروتي "، كما تولى رئاسة ديوان عموم الأوقاف، وارتبط اسمه بحادثة شهيرة، عرفت باسم "حادثة حمادة باشا" عندما قام في ١٦ من فبراير ١٩٠٩م بالتوجه إلى الجامع الأزهر لتنفيذ عدد من قرارات المجلس العالي للأزهر بهدف إعادة الهدوء والسكينة بعد الاضطرابات التي قام بها الطلبة اعتراضا على تنفيذ قانون سنة ١٩٠٨م في الأزهر؛ حيث اتهم بأنه اعتدى على الطلاب وأصاب بعضًا منهم بإصابات خطيرة، وقد ثبتت براءته من هذه الاتهامات، وبعد عزله من ديوان الأوقاف سافر إلى الآستانة فولاه السلطان في بعض الوظائف المهمة، وتوفي في جمادى الأولى ١٣٢٨هـ/ يونيو١٩١٠م، وقد قال صاحب المنار عند ذكر خبر وفاته:" فجعت المملكة العثمانية في هذه الشهر بوفاة هذا الرجل المصلح الإداري القدير، والسياسي المحنك الخبير، نابغة البلاد السورية والمصرية، والحجة الناهضة على علو استعداد الأمة العربية، شهد بفضله الإنكليز وغيرهم من الإفرنج بمصر، وأذعنت له قلوب جميع العثمانيين في الآستانة".

انظر: مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الرابع من السنة الرابعة، ربيع الثاني ١٣٢٢هـ / يونيو ١٩٠٤م. وانظر: " المنار "، عدد جمادى الآخرة ١٣٢٨هـ/ يوليو١٩١٠م، وعدد جماد الأول ١٣٥١هـ / سبتمبر ١٩٣٢م.

(٢١) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثامن من السنة الخامسة، شعبان ١٣٢٣هـ / أكتوبر ١٩٠٥م .

(٢٢) المصدر السابق نفس العدد.

(٢٣) المصدر السابق نفس العدد.

(٢٤) أسست هذه الجمعية في شوال ١٣٠٩هـ / نوفمبر ١٨٩٢م لنشر التعليم في الإسكندرية، ونجحت بهمة أعضائها من وجهاء الثغر السكندري حتى كان لها في العام ١٩٠٥م / ١٣٢٣هـ خمس عشرة مدرسة (تسع للذكور وست للبنات)، مجلة " المنار " عدد ١٦ ربيع الثاني ١٣٢٣هـ / ١٩ يونيو ١٩٠٥م.

(٢٥) جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية: " التقرير السنوي عن السنة الدراسية ١٩٠٥ – ١٩٠٦م " مطبعة الملاجئ العباسية ، بدون تاريخ " ص: ٣٥.

(٢٦) المصدر السابق، ص: ٣٦.

(٢٧) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٢٨) مجلة " جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية، عدد شعبان ١٣٣٠هـ / يوليو ١٩١١م.

(٢٩) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الأول من السنة الخامسة، محرم ١٣٢٣هـ / مارس ١٩٠٥م.

(٣٠) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الرابع عشر من السنة الثانية، ١٥ رجب ١٣٢٠هـ / ١٨ أكتوبر ١٩٠٢م.

(٣١) " قانون جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية " مادة (٣٣) ص: ٧.

(٣٢) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثامن من السنة الثانية، ١٥ ربيع الثاني ١٣٢٠هـ / ٢٢ يوليو ١٩٠٢م.

(٣٣) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الأول من السنة الخامسة، محرم ١٣٢٣هـ / مارس ١٩٠٥م.

(٣٤) ولد الشيخ محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر في مدينة جرجا بصعيد مصر في العام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٦م، وتعلم بالأزهر وحصل منه على شهادة "العالمية " شغل منصب قاضي قضاة السودان مدة أربعة أعوام ، ثم عُيِّن شيخاً لعلماء الإسكندرية ثم وكيلاً للأزهر، وكان من أعضاء هيئة كبار العلماء ، توفى في العام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م.
انظر: زكي محمد مجاهد: "الأعلام الشرقية في المائة الرابعة الهجرية " طبعة دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٤م، جـ٢ ص: ١٦٥ .
وانظر أيضاً: الزركلي: " الأعلام " جـ٦، ص: ١٥٦.

(٣٥) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد التاسع من السنة الرابعة، رمضان ١٣٢٢هـ / نوفمبر ١٩٠٤م.

(٣٦) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد التاسع عشر من السنة الثانية، غرة شوال ١٣٢٠هـ / أول يناير ١٩٠٣م.

(٣٧) نفس العدد.

(٣٨) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الأول من السنة الخامسة، محرم ١٣٢٣هـ / مارس ١٩٠٥م.

(٣٩) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثامن من السنة الثانية، ١٥ ربيع الثاني ١٣٢٠هـ / ٢٢ يوليو ١٩٠٢م .

(٤٠) نفس العدد.

(٤١) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثاني والعشرون من السنة الثانية، ١٥ ذو القعدة ١٣٢٠هـ / ١٣ فبراير ١٩٠٣.

(٤٢) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الرابع والعشرون من السنة الثانية، ١٥ ذو الحجة ١٣٢٠هـ / ١٥ مارس ١٩٠٣م.

(٤٣) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الرابع عشر من السنة الثانية، ١٥ رجب ١٣٢٠هـ / ١٨ أكتوبر ١٩٠٢م.

(٤٤) مجلة " المنار " عدد ١٩ رمضان ١٩ رمضان ١٣١٧هـ / ٢٠ يناير ١٩٠٠م.

(٤٥) مجلة " المنار " عدد غرة رجب ١٣٢٠هـ / ٣ أكتوبر ١٩٠٢م.

(٤٦) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثالث من السنة الثانية، ١٥ صفر ١٣٢٠هـ / ٢٤ مايو ١٩٠٢م.

(٤٧) صدر العدد الأول من السنة الأولى للمجلة في أول رمضان ١٣١٧هـ (٣ يناير ١٩٠٠م)، واستكملت المجلة سنتها الأولى بصدر العدد الرابع والعشرين في ١٥من شعبان ١٣١٨هـ (٨ من ديسمبر ١٩٠٠م) ثم صدر العددان الأول والثاني من السنة الثانية في ١، ١٥ رمضان من العام ١٣١٨هـ (٢٣ ديسمبر ١٩٠٠م ، ٦ يناير ١٩٠١م) ثم توقفت المجلة عن الظهور، وقد حدث ذلك عندما كانت جمعية مكارم الأخلاق بالقاهرة هي التي تتولى إصدار المجلة.

(٤٨) مجلة " مكارم الأخلاق " العدد الثالث من السنة الثانية، ١٥ صفر ١٣٢٠هـ / ٢٤ مايو ١٩٠٢م.

(٤٩) نفس العدد.

(٥٠) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الأول من السنة الثالثة، محرم ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م.

(٥١) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد العاشر من السنة الثانية، ١٥ جماد الأول ١٣٢٠هـ / ٢٠ أغسطس ١٩٠٢م.

(٥٢) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد السادس عشر من السنة الثانية، ١٥ شعبان ١٣٢٠هـ / ١٧ نوفمبر ١٩٠٢م.

(٥٣) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الرابع من السنة الثالثة، ربيع الثاني ١٣٢١هـ / يونيو ١٩٠٣م.

(٥٤) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثاني والعشرون من السنة الثانية، ١٥ ذو القعدة ١٣٢٠هـ / ١٣ فبراير ١٩٠٣م.

(٥٥) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثالث من السنة الثالثة، ربيع الأول ١٣٢١هـ / مايو ١٩٠٣م.

(٥٦) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الخامس من السنة الثالثة، جماد الأول ١٣٢١هـ / يوليو ١٩٠٣م .

(٥٧) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد السادس من السنة الثالثة، جماد الثاني ١٣٢١هـ / أغسطس ١٩٠٣م.

(٥٨) عندما كانت المجلة تصدر مرتين شهرياً كان عدد صفحاتها ست عشرة صفحة في العدد الواحد ثم ارتفع العدد إلى ثنتين وثلاثين عندما أصبحت تصدر مرة واحدة شهرياً.

(٥٩) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الخامس من السنة الرابعة، جماد الأول ١٣٢٢هـ / يوليو ١٩٠٤م.

(٦٠) مجلة " المنار " عدد غرة صفر ١٣٢٤هـ / ٢٦ مارس ١٩٠٦م.

(٦١) دار الوثائق القومية المصرية، وثائق مجلس النظار، كود أرشيفي ٠٠٨٧٦٤-٠٠٧٥ تقرير بخصوص مدرسة محمد علي الصناعية وتطور التعليم الصناعي والمهني بعد إنشائها، والملجأ العباسي وبعض الجمعيات التابعة لجمعية العروة الوثقى.

(٦٢) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الأول من السنة الخامسة، محرم ١٣٢٣هـ / مارس ١٩٠٥م.

(٦٣) سبق أن نقلنا عن صاحب " المنار " أن قيمة الاشتراك في المجلة كانت تبلغ خمسة عشر قرشاً سنوياً. انظر: " المنار " عدد ١٩ رمضان ١٣١٧هـ/ ٢٠ يناير ١٩٠٠م.

(٦٤) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد العاشر من السنة الثالثة، شوال ١٣٢١هـ / ديسمبر ١٩٠٣م.

(٦٥) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثاني عشر من السنة الرابعة، ذو الحجة ١٣٢٢هـ / فبراير ١٩٠٥م.

(٦٦) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الخامس من السنة الرابعة، جماد الأول ١٣٢٢هـ / يوليو ١٩٠٤م.

(٦٧) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد السادس من السنة الرابعة، جماد الثاني ١٣٢٢هـ / أغسطس ١٩٠٤م.

(٦٨) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الأول من السنة الخامسة، محرم ١٣٢٣هـ / مارس ١٩٠٥م.

(٦٩) لا تعارض بين هذا العدد وبين ما أوردناه قبل قليل من أن المجلة كان يطبع منها نحو ستة آلاف نسخة، إذ أن قسماً كبيراً منها كان يوزع بالمجان لمنتسبي الجمعية وغيرهم.

(٧٠) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الأول من السنة الخامسة، محرم ١٣٢٣هـ / مارس ١٩٠٥م.

(٧١) مجلة " المنار " عدد غرة صفر ١٣٢٤هـ / ٢٦ مارس ١٩٠٦م.

(٧٢) وثائق مجلس النظار، كود أرشيفي ٠٠٨٧٦٤- ٠٠٧٥ تقرير بخصوص مدرسة محمد علي الصناعية ... وبعض الجمعيات التابعة لجمعية العروة الوثقى.

(٧٣) مجلة " جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الأول من السنة الثانية عشرة، محرم ١٣٣٠هـ / ديسمبر ١٩١١م.

(٧٤) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثاني عشر من السنة السابعة، ذو الحجة ١٣٢٥هـ / يناير ١٩٠٨م.

(٧٥) الكتاب لمحمد بن البشير بن حسن بن ظافر المدني الأزهري المتوفى بعد الام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م ، وهو مؤرخ من أهل المدينة المنورة، مالكي المذهب، تعلم بالأزهر، والكتاب في تراجم المالكية ، ولم ينجز منه سوى الجزء الأول فقط والذي ينتهي إلى حرف " العين " ثم توفى قبل إتمامه.
انظر: زكي محمد مجاهد: " الأعلام الشرقية " جـ١ ص: ٢٣٥ وانظر: يوسف إليان سركيس: " معجم المطبوعات العربية والمعربة " مطبعة سركيس ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م، جـ٢ ص: ١٢٥٥

(٧٦) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الأول من السنة السابعة ، محرم ١٣٢٥هـ / فبراير ١٩٠٧م .

(٧٧) جمعية العروة الوثقى الخيرية: " التقرير السنوي عن السنة الدراسية ١٩٠٥ – ١٩٠٦م " ص: ١٥ .

(٧٨) تعرف ملاجئ الأيتام عادة بأنها مؤسسة يعني فيها بالطفل اللقيط، وهو ما يكون – عادة – ثمرة صلة غير شرعية، فهو أكثر عرضة للخطر من غيره بالنظر لميل ذويه إلى التخلص منه؛ لأنه كثيراً ما يصبح نافعاً للجماعة إذا ما عني بتربيته، ومن الخطأ القول بأن في العناية به تشجيعاً على الفسق والفجور، لأن حماية الآداب تتأتى بوسائل أخرى غير قتل الأطفال، والرحمة الإنسانية تقضي بأن ينزل هذا الطفل ضيفاً على الجماعة، فمن واجبها إذن أن تحيطه بعطفها وعنايتها.
انظر : محمود نصار: " الإحسان العام في مصر " طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٠هـ ١٩٤١م ص: ١٣٤ .
والواقع أن هذا التعريف فيه كثيرٌ من التجني؛ إذ أنه ليس بالضرورة أن يكون نزلاء الملاجئ – أو على الأقل غالبيتهم – من نتاج علاقات غير شرعية. ولعل هذا الزعم هو الذي أضفى على الملاجئ شهرة غير حميدة في

المجتمعات الشرقية؛ إذ مما لا جدال فيه أن ملاجئ الأيتام تضم عدداً كبيراً من الأطفال الذين فقدوا آباءهم وأمهاتهم وهم صغار وحُرموا من وجود عائل، فكان الملجأ هو الملاذ الوحيد الآمن لهم، والمنقذ من حياة التشرد والإجرام، على أية حال فإن هذا التعريف الذي أوردناه آنفاً لا ينطبق تمام الانطباق على حالة الملجأ الذي هو مجال حديثنا الآن، والذي كان الهدف منه هو العناية بأيتام الفقراء من المسلمين. وقد فطنت الجمعية إلى هذه الإشكالية جيداً، ففندت على صفحات مجلتها هذا الزعم وانتهت إلى عدم صوابه بالكلية، وسيأتي تفصيل ذلك.

(٧٩) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الأول من السنة الخامسة، محرم ١٣٢٣هـ / مارس ١٩٠٥م.

(٨٠) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثاني عشر من السنة الثالثة، ذو الحجة ١٣٢١هـ / فبراير ١٩٠٤م.

(٨١) الآيتان [٦ ، ٧] من سورة: الضحى.

(٨٢) انظر: الملحق رقم (١) من ملاحق البحث.

(٨٣) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد العشرون من السنة الثانية، ١٥ شوال ١٣٢٠هـ / ١٥ يناير ١٩٠٣م .

(٨٤) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الأول من السنة الثالثة، محرم ١٣٢١هـ / مارس ١٩٠٣م .

(٨٥) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثاني والعشرون من السنة الثانية ، ١٥ ذو القعدة ١٣٢٠هـ / ١٣ فبراير ١٩٠٣م ، العدد السابع من السنة السادسة ، رجب ١٣٢٤هـ / أغسطس ١٩٠٦م .

(٨٦) هو حسين كامل بن إسماعيل بن إبراهيم الذي تولى السلطنة في مصر في العام ١٩١٤م، ولد في العام ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م في القاهرة، ودرس في باريس، تولى نظارة الأشغال العمومية لبعض الوقت قبل أن يلي السلطنة، عاجلته الوفاة في العام ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م.
انظر: الزركلي: " الأعلام " جـ٢ ص: ٢٥١، ٢٥٢.

(٨٧) هو الأمير كمال الدين بن السلطان حسين كامل بن الخديو إسماعيل، كان له الحق في عرش مصر ولكنه رفضه، أتقن عدة لغات وجمع مكتبة زاخرة، توفى بالقاهرة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م وكان عقيماً.
انظر: المصدر السابق، جـ٥، ص: ٢٣٢، ٢٣٣ .

(٨٨) هي الأميرة نازلي بنت مصطفى فاضل التي ولدت في العام ١٨٥٣م / ١٢٧٩هـ، صاحبة أحد الصالونات الأدبية المشهورة، وزوجة أحد الوزراء العثمانيين، توفيت في القاهرة الالعام ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م.
انظر : آرثر جولد شميت (الابن): " قاموس تراجم مصر الحديثة " ترجمة وتحقيق: عبد الوهاب بكر، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، العدد (٥٢١)، القاهرة ٢٠٠٣م ص ٧١٥.

(٨٩) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثاني والعشرون من السنة الثانية، ١٥ ذو القعدة ١٣٢٠هـ / ١٣ فبراير ١٩٠٣م.

(٩٠) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الرابع والعشرون من السنة الثانية، ١٥ ذو الحجة ١٣٢٠هـ / ١٥ مارس ١٩٠٣م.

(٩١) هي أمينة هانم بنت إبراهيم إلهامي بن عباس حلمي الأول بن أحمد باشا طوسون بن محمد علي، زوجة الخديوي توفيق، هذا ولم نتمكن من الوصول إلى ترجمة لها في المصادر.

(٩٢) هو عمر طوسون بن محمد بن سعيد بن محمد علي، مولده بالإسكندرية في العام ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م، ووفاته بها كذلك ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م ، عكف على التعمق في تاريخ مصر الحديث وآثار مصر القديمة، وألف كتباً كثيرة بالعربية والفرنسية، وكان من أعضاء المجمعين العلميين بالقاهرة ودمشق ومن أعضاء الجمعية الجغرافية المصرية.
انظر: عمر رضا كحالة: " معجم المؤلفين " مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، جـ٧، ص: ٣١١.

(٩٣) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الأول من السنة الثالثة، محرم ١٣٢١هـ / مارس ١٩٠٣م.

(٩٤) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثاني من السنة الثالثة، صفر ١٣٢١هـ / أبريل ١٩٠٣م.

(٩٥) العدد نفسه.

(٩٦) يقع هذا المسجد أمام المسجد المعروف بمسجد النبي دانيال في شارع يحمل اسم هذا المسجد الأخير بالإسكندرية ، وقد جُدِّد مسجد سيدي عبد الرازق هذا على يد ناظره أحمد النقيب سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م.
انظر: علي مبارك: " الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة " طبعة: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، جـ٧ ص: ١٩٢ .

(٩٧) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثاني من السنة الثالثة ، صفر ١٣٢١هـ / أبريل ١٩٠٣م.

(٩٨) تساوي جملة " وجود خديوينا به الفتح أفيد " سنة ١٣٢١هـ وفقاً لحساب الجُمل – بتشديد الميم وتخفيفها – وهو المعتمد في التأريخ للأحداث وذلك وفقاً للقيم الآتية : " وجود " = ١٩ ، " خديوينا " = ٦٨١ ، " به " = ٧ ، " الفتح = ٥١٩، " أفيد " = ٩٥ فيكون المجموع ١٣٢١، والجدير بالذكر أنه طبقاً لهذا الحساب يساوي كل حرف في الأبجدية العربية رقماً معيناً ، فيلجأ مستخدمو هذا الحساب إلى الجمع بين أحرفٍ معينة في جملة واحدة لتعطي ناتجاً محدداً هم يقصدونه بالتأريخ.
انظر: التهانوي (محمد علي الفاروقي التهانوي): " كشاف اصطلاحات الفنون " تحقيق: لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م مادة " جُمّل " جـ١ ص: ٣٦٢، وانظر: بطرس البستاني : " دائرة المعارف " طبعة: دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ. جـ٦ ص: ١٩ ، وانظر أيضاً: مجمع اللغة العربية: " المعجم الوسيط " طبعة: دار المعارف، القاهرة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م مادة " جُمّل " جـ١ ص: ١٣٧، وانظر كذلك: لويس اليسوعي: " المنجد في اللغة " طبعة: دار المشرق، الطبعة السابعة والعشرون، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، هذا وسنورد القصيدة كاملة في ملاحق البحث. انظر: ملحق رقم (٢)

(٩٩) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثامن من السنة الثالثة، شعبان ١٣٢١هـ / أكتوبر ١٩٠٣م.

(١٠٠) نفس العدد.

(١٠١) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد العاشر من السنة الثالثة، شوال ١٣٢١هـ / ديسمبر ١٩٠٣م.

(١٠٢) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الخامس من السنة الرابعة، جماد الأول ١٣٢٢هـ / يوليو ١٩٠٤م.

(١٠٣) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد السادس من السنة الرابعة، جماد الثاني ١٣٢٢هـ / أغسطس ١٩٠٤م.

(١٠٤) يقصد بمصطلح الدومين الهيئة أو المصلحة المشكلة لإدارة أملاك الميري العمومية المرتهنة طبقاً للأمر العالي الصادر في ٢٦ أكتوبر ١٨٧٨م (٢٩ شوال ١٢٩٥هـ).
انظر : فيليب يوسف جلاد: " قاموس الإدارة والقضا " طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م. جـ١ ص: ٢٥٧، وانظر

كذلك: زين العابدين شمس الدين نجم " معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية " بدون دار نشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م. ص: ٤٩٦.

(١٠٥) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثامن من السنة الرابعة، شعبان ١٣٢٢هـ / أكتوبر ١٩٠٤م.

(١٠٦) هو مصطفى رياض بن إسماعيل بن أحمد حسن الوزان، ولد بالقاهرة ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م، تدرج من كاتب بالمالية إلى أن وصل إلى رئاسة الوزارة التي تولاها ثلاث مرات، اشتهر بمناصرته للصحافة، توفى بالإسكندرية في العام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م.

انظر: زكي محمد مجاهد : " الأعلام الشرقية " جـ١ ص : ١١٩ ، وانظر كذلك الزركلي: " الأعلام " جـ٧ ص: ٢٣٣ .

(١٠٧) لم نعثر على ترجمة.

(١٠٨) ولد حسين سري في القاهرة في العام ١٨٩٢م، ودرس الهندسة، عمل رئيساً للديوان الملكي ووزيراً للأشغال العمومية، ورئيساً للوزراء لثلاث مرات، ترأس وزارة قصيرة العمر قبل ثورة ١٩٥٢م مباشرة، توفى بالقاهرة في العام ١٩٦٠م.

انظر: آرثر جولد شميت: " قاموس تراجم مصر الحديثة " ص: ٣١٩.

(١٠٩) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد العاشر من السنة الرابعة، شوال ١٣٢٢هـ / ديسمبر ١٩٠٤م.

(١١٠) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثاني عشر من السنة الرابعة، ذو الحجة ١٣٢٢هـ / فبراير ١٩٠٥م.

(١١١) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثاني من السنة الخامسة ، صفر ١٣٢٣هـ / أبريل ١٩٠٥م .

(١١٢) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثالث من السنة الخامسة، ربيع الأول ١٣٢٣هـ / مايو ١٩٠٥م.

(١١٣) جمعية العروة الوثقى: " التقرير السنوي " ص: ٣٦ .

(١١٤) وثائق عابدين ، كود أرشيفي ٠٠٤٠٠١ – ٦٩ أوراق خاصة بجمعية العروة الوثقى الإسلامية ، مكاتبة رئيس جمعية العروة الوثقى إلى مدير ديوان عموم الأوقاف بتاريخ ١١ مارس ١٩٠٧م / ٢٦ محرم ١٣٢٥هـ.

(١١٥) جمعية العروة الوثقى الخيرية: " التقرير السنوي " ص : ١٤ .

(١١٦) وثائق عابدين، كود أرشيفي ٠٠٤٠٠١ – ٠٠٦٩ أوراق خاصة بجمعية العروة الوثقى، مكاتبة رئيس جمعية العروة الوثقى إلى مدير عموم ديوان الأوقاف بتاريخ ١١ مارس ١٩٠٧م / ٢٦ محرم ١٣٢٥هـ.

(١١٧) جمعية العروة الوثقى الخيرية: " التقرير السنوي " ص: ١٥.

(١١٨) مجلة " جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثامن من السنة السابعة ، شعبان ١٣٢٥هـ / سبتمبر ١٩٠٧م.

(١١٩) جمعية العروة الوثقى الخيرية : " تقرير سنوي عن أعمال جمعية العروة الوثقى عن سنة ١٩١١ – ١٩١٢م " منشورٌ في مجلة " جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية " العددان السابع والثامن من السنة الثالثة عشرة، رجب وشعبان ١٣٣١هـ / يونيو ويوليو ١٩١٢م.

(١٢٠) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد السابع من السنة السادسة، رجب ١٣٢٤هـ / أغسطس ١٩٠٦م.

(١٢١) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثامن من السنة الثانية، ١٥ ربيع الثاني ١٣٢٠هـ / ٢٢ يوليو ١٩٠٢م.

(١٢٢) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثالث من السنة الثانية، ١٥ صفر ١٣٢٠هـ / ٢٤ مايو ١٩٠٢م.

(١٢٣) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الأول من السنة الخامسة، محرم ١٣٢٣هـ / مارس ١٩٠٥م.

(١٢٤) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثالث من السنة الثالثة، ربيع الأول ١٣٢١هـ / مايو ١٩٠٣م.

(١٢٥) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الأول من السنة الخامسة، محرم ١٣٢٣هـ / مارس ١٩٠٥م.

(١٢٦) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثاني من السنة الخامسة، صفر ١٣٢٣هـ / أبريل ١٩٠٥م.

(١٢٧) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد العشرون من السنة الثانية، ١٥ شوال ١٣٢٠هـ / ١٥ يناير ١٩٠٣م.

(١٢٨) الخيوان والخوان: لفظ فارسي معناه المائدة أو المنضدة، أي ما يوضع عليه الطالالعام ليؤكل.
انظر: زين العابدين شمس الدين نجم: " معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية " ص: ٢٢٦.

(١٢٩) مجلة " مكارم الأخلاق الإسلامية " العدد الثامن من السنة الثالثة، شعبان ١٣٢١هـ / أكتوبر ١٩٠٣م.